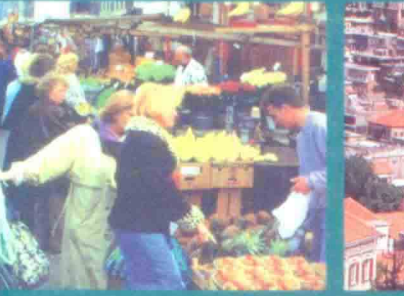
الدكتور عبد الغني عماد

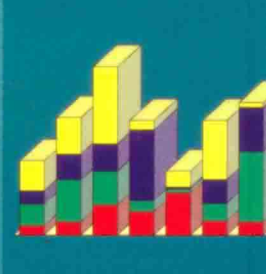




البحث الإجتماعي




منهجيته
مراحله
تقنياته



جرّوس برس

الطبعة الأولى
تشرين الثاني - ٢٠٠٢



منشورات جروس برس
طرابلس - لبنان - شارع نديم الجسر
تلفاكس: ٤٤٣٥٤٢ ٦ ٩٦١
ص.ب: ١٨٩
E-mail:jarrous_press@yahoo.com

المقدمة

يحتاج الباحث في مختلف العلوم الى معرفة واستيعاب مناهج البحث وطرقه ومراحله، وبالتالي لا يمكنه الإبداع في عمله دون الإطلاع على أنواعها وطرقها والتمرس في استعمالها والإستفادة مما تقدمه من امكانيات في جمع وتصنيف وتحليل المعطيات والحقائق والمعلومات.

والبحث في العلوم الإجتماعية يتميز بخصائص ينفرد بها كونه يعتمد على جانب يلجأ فيه الباحث الى بناء إطار نظري لبحثه، مستخدماً بذلك المناهج الإستنباطية في تحديد الموضوع وتأصيل المفاهيم وصياغة الإشكالية والفرضيات، بالإضافة طبعاً الى اعتماده بشكل أساسي على دراسة الحقل الميداني والواقع الإجتماعي والظروف الموضوعية المحيطة بالظاهرة المدروسة، بهدف دراستها دراسة متجردة تبحث وتحيط بكل الملابسات والظروف والمشكلات بعيداً عن الأهواء والميول.

ولتحقيق هذا الهدف هناك مراحل وخطوات أهمها تحديد الاشكالية ووضع الفرضيات، ثم تصميم العينة الاحصائية والاستمارة الاستبيانية والمقابلات الميدانية، ثم تبويب البيانات الاحصائية وتحليلها احصائياً وسوسيولوجياً، ثم صياغة البحث أو الأطروحة بشكلها النهائي بما يتضمن المقترحات والتوصيات النهائية والتي دائماً إذا ما أخذ بها من قبل المعنيين تكون قد تحولت بالفعل من دراسة ميدانية علمية الى دراسة تطبيقية.

ان هذا الكتاب يطرح المراحل والخطوات العملية التي يجب أن يمر بها البحث السوسيولوجي الحديث، وهو يتوقف عند المحطات المنهجية موضحاً الترابط الموضوعي



والمتوازن بين كل مرحلة من هذه المراحل. والكتاب حصيلة جهد وخبرة طويلة في حقل التعليم الجامعي والبحث الأكاديمي، استفدنا فيها من محاولات سابقة كان لا بــد من إغنائها وتطويرها نظراً الى قلّة المؤلفات التي تعالج هذا الموضوع في اللغة العربية.

ونــحن لن نبتغ الإطالة والحشو واستعراض المعلومات بلا فائدة، كان هدفنا هو الاحاطة بــالموضوع بما يســاعد الباحــثين الجدد على اعداد أبحاثهم، ووعي محطاتها المنهجية، بما يؤدي الى اخراج عملهم بشكل موضوعي ومتوازن معتمداً أحدث الطرق العلمية والسوسيولوجية في التحليل والتوثيق. ونــحن لا ندعي أن الإطلاع على هذا الكتاب يكفي لإعداد الباحثين وتأهيلهم بشكل متكامل، لكنه بتقــديرنا يضعهم على الطريق الصحيح نحو اكتساب المعرفة الأكاديمية في أصول البحث العلمي، وهي معرفة لا بد لها من التراكم من خلال الممارسة والخبرة التي يجب على كل باحث أن يســلكها بصبر وأمانة وموضوعية.

الفصل الأول من هذا الكتاب تضمن انواع المعرفة وخصائها وتعريف البحــــث السوسيولوجي ونشأته وأنواعه. أما الفصل الثاني فيحتوي على تحديد خطوات البــناء النظري للبحث السوسيولوجي والتي تبدأ بشروط اختيار الموضوع وتحديد الاشــكالية ووضع الفرضيات، وهي المحطة المنهجية الهامة في البحث السوســيولوجي والتي يليها عملية التوثيق والتقميش واختيار المراجع، ولكل منها أصول وقواعد علمية وأكاديمية.

أما أطر جمع المعطيات وتقنياتها فهي محور الفصل الثالث الذي يتضمن التحــضير العملاني، بدءاً باختيار العينة وعرض أنواعها، الى أصول تصميم الاستمارة وقــواعده، وصولاً الى تحديد أدوات البحث، من خلال الاستبيان أو الملاحظة أو المقابــلة وميزات وعيوب كل منها.

ويعتبر تبويب المعلومات والمعطيات وفرزها وتحليلها من المحطات المنهجية الأساسية

أيضاً، وهو محور الفصل الرابع الذي يتضمن عناوين مفصلية كالتحليل الاحصائي وتحليل الوثائق، وتقنية تحليل المحتوى والتفسير السوسيولوجي لنتائج البحث، وهو العملية التي تنقل البحث من مجرد جمع وتراكم بيانات ومعطيات الى تفسيرات وتعليلات للوقائع الميدانية والاجتماعية. يلي التبويب والفرز والتحليل، عملية الصياغة النهائية، وهي محور الفصل الخامس والتي سيخرج بها البحث في شكله وصورته الأخيرة. وبقدر ما تكون الصياغة النهائية معبرة ودقيقة، ومضبوطة وفق الأسس والقواعد المنهجية والاكاديمية، تكون صورة البحث والأطروحة سليمة وقادرة على إيصال التفسيرات والأفكار بشكل موضوعي وعلمي يتسم بالأمانة والدقة. آمل أن يكون هذا الكتاب مفيداً للمهتمين في البحث العلمي والسوسيولجي. وآمل أن أكون قد وفقت في تقديم مساهمة، علّها تكون خطوة نحو سد النقص الحاصل في كتب ومؤلفات البحث الاجتماعي والأكاديمي في المكتبة العربية.

الفصل الأول

المعرفة العلمية والبحث السوسيولوجي

اعتمد الناس منذ القدم على طرق متعددة لفهم الظواهر الانســانية، وهذه الطرق المتعددة والمختلفة تأتى عنها أنواع من المعرفة يمكن تصنيفها الى أربعة أصناف:

١-المعرفة الحســية: وهي في الغالب تعتمد على الحواس والخبرة الذاتية المتأتية من المصادفة Chance أو المحاولة والخطأ Trail and error والتعميمات التي يؤمن بهـا الأفراد من خلال التجربة والخبرة الذاتية. وهذه من أقدم أنواع المعرفة وأسهلها استنتاجاً وملاحظة، إذا لا تحتاج الى حجج وبراهين تثبتها، فالانســان عندما يعجز عن تفســير ظاهرة ما، فإنه يرجعها الى قوى غيبية. وبالرغم من المشكلات المنهجية للمعرفة الحسية لجهة جمع الحقائق والوقائع وتفسيرها وتعليل أسبابها إلا أنها تعتبر الأســاس الأول لأي معرفة علمية.

ربما اكتشف الناس عن طريق المصادفة حقائق ووقائع، ولكنهم بـالتأكيد تعلموا أشياء أخرى بالمحاولة المقصودة عن طريق التجربــة والخطأ. وعن طريق ذلك تراكمت كثير من المعارف والخبرات الانسانية. وهناك الكثير من التعميمات الشائعة بـيننا نؤمن بها اعتماداً على الخبرة المكتسبـــة وليس إعتماداً على موضوعية التعميمات ذاتها أو



مصداقيتها. فهناك معارف اكتسبها الانسان يناقض بعضها بعضاً. ويكفي استرجاع بعض الأمثال والحكم الشعبية السائدة ليتبين مدى تناقضها في بعض الجوانب.

٢- المعرفة التسليمية أو النقلية: وهي تعتمد على الأخذ بالموروث وإقتباس ما كتبه أهل الثقة في مختلف المجالات، حتى ولو كانوا مخطئين في بعض أو كل ما قالوه. لقد إعتمد الانسان قديماً على الكهنة والحكماء في اكتساب المعرفة، وتطور العلوم حفل بإصطدامات عديدة مع أمثال هؤلاء الذين اعتبروا أنفسهم حراساً للتقاليد.

وبما أن الموروث ومصادر الثقة هذه يمكن أن تكون خاطئة، فإن مخاطر الاعتماد عليها تبدو واضحة. ومع ذلك تستمر المعرفة التسليمية عندما لا تتوفر الحقائق والدلائل الكافية اللازمة لحل مشكلة معينة. فمن الطبيعي أن يكون رأي صاحب الخبرة والدراية بالمشكلة أكثر قيمة ووزناً من رأي من ليس له خبرة ودراية. ومن جهة أخرى يستمر الناس في اعتماد الموروث ومصادر الثقة عندما لا يتوفر لهم الوقت والتدريب الكافي لحل المشاكل التي تعترضهم.

المعرفة الحسية والتسليمية هي أوسع حدوداً وتأثيراً في المجتمعات المتخلفة منها في المجتمعات المتقدمة، لكنها موجودة في كل المجتمعات. إن قوة تأثير وشيوع المعرفة الحسية والتسليمية يعتبر مؤشراً من المؤشرات التي تدل على التخلف العلمي في المجتمع.

٣- المعرفة الفلسفية: إنها المرحلة التي تتميز بالشك في كل أو بعض ما هو موروث وشائع، حيث لا يمكن الوصول الى الحقيقة والمعرفة إلا عن طريق التأمل والحوار العقلاني. المعرفة الفلسفية تأملية عقلانية تتجاوز متطلبات الحياة اليومية والمعرفة الحسية والتجارب الإجتماعية، إنها أساس البناء الحضاري والفكري للإنسان والمجتمع. إنها تصور ذهني يتكون في العقل والذي يقابله الوجود المحسوس. ويقال إن لكل إنسان فلسفة حياتية ونظاماً فكرياً وايديولوجياً يستمده من المجتمع الذي يعيش فيه ويتفاعل

معه، وهذا صحيح الى حد كبير، اذ أن الفلسفة أو الايديولوجية كمنظومة فكرية هي أساس سلوك الإنسان وعمله اليومي وأساس علاقاته وتفاعلاته مع الآخرين.

إن إدراك الإنسان للأشياء كما هي في الواقع هو المعرفة، وهو يدركها كما هي بواسطة الحواس، لكن تأويله لهذه الأشياء وتفسيره لها، وتوظيفه لأبعادها ومعانيها لا يكون عن طريق الحواس، بل عن طريق العقل.

٤ - المعرفة العلمية: وهي بلا شك أرقى درجات المعرفة وهي في النتيجة محصلة مجهود فكري منظم يندرج في إطار دراسة الأشياء والظواهر دراسة موضوعية حيادية تعتمد على خواصها وطبيعتها والعلاقة بين ظاهرها وباطنها، وهي في دراستها هذه تبتعد عن التحيز والتعصب والأفكار الشخصية والذاتية التي يحملها الأشخاص الذين يقومون بدراستها ووصفها وتحليها.

تعتمد المعرفة العلمية أساساً على الاستقراء (induction) ذلك أن النتائج التي يصل اليها الإنسان عن طريق الاستنباط (deduction) والقياس المنطقي قد لا تصدق ولا يمكن أخذها بعين الإعتبار إلا إذا قامت على مقدمات صادقة وثابتة وموضوعية. وعليه إبتكر العقل الإنساني التفكير الاستقرائي ليكمل به التفكير الاستنباطي في البحث عن المعرفة. ففي الوقت الذي يعتمد فيه الاستنباط على قضايا وبديهيات ومسلمات ليخرج منها بنتائج، يعتمد الاستقراء على جمع الأدلة والبراهين المادية والعلمية التي تساعد على اصدار تعميمات محتملة الصدق والثبات. وإذا استطاع الباحث ان يصل الى نتيجة عن طريق الاستقراء فمن الممكن أن يستخدمها كحجة علمية في استدلال استنباطي أو فلسفي. وهكذا فالبحث العلمي يعتمد على الاستقراء ويعتمد على الاستنباط ايضاً، فكل جانب يعزز نتائج الجانب الآخر ويدعم صحتها وعلميتها(١).

---

١ - احسان محمد الحسن: الأسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، دار الطليعة، بيروت ط٣، ١٩٩٤، ص١٢

وتتكون المعرفة العلمية من حقائق ومعلومات متكاملة قادرة على تفسير التفاعلات والتغيرات التي تتعلق بالظواهر المدروسة والعناصر والمواد التي تتكون منها، وهذه الحقائق ينبغي أن تكون نظرية وتطبيقية في آن واحد، ذلك أن العلم لا يسمى علماً دون أن يصل الى نظريات وقوانين وفرضيات، وهي في كل الحالات تبقى قابلة للزيادة والتراكم كلما ازدادت الأبحاث النظرية والتطبيقية. إن المعرفة العلمية هي معرفة أمبيريقية وتجريبية (Empirical) أي أن حقائقها وقوانينها لم تظهر إلا بعد دراسات وأبحاث ومسوح ميدانية وعلمية. وأهم ميزة من ميزات المعرفة العلمية أنها نسبية، قابلة للتبدل والتغير تبعاً لتبدل وتغير الظروف الموضوعية للظواهر والوقائع التي تدرسها وتحللها.

ولا يمكن فصل الجانب التطبيقي عن الجانب النظري في المعرفة والبحث العلمي، فكلاهما يعتمدان على بعضهما البعض، والجامع بينهما هو التفكير العلمي والتفكير النقدي Critical thinking ومن أبرز مميزات التفكير العلمي:

-أنه يفترض دائماً سبب للحوادث والوقائع، وهو يسعى لكشف هذه الأسباب ما دام ذلك ممكناً.

-أنه يرفض الاعتماد على مصادر الثقة والموروث المعرفي، بل يعتمد الفكرة القائلة بأن النتائج لا تعتبر صحيحة إلا إذا دعمها الدليل Evidence

- الأفكار والحقائق سواء تم الوصول اليها عن طريق المنطق أو عن طريق الاستعانة بمصادر الثقة، يجب أن تخضع للاختبار والتجربة لإظهار صحتها أو بطلانها.

-يجب أن تكون حيثيات النتائج التي يصل اليها التفكير العلمي منطقية دائماً. بمعنى أن النتائج يجب أن تكون متمشية مع الدليل ومع الحقائق المعروفة، ومع التجربة داخل مجال الدراسة.

واستخدام طريقة التفكير العلمي تؤدي الى نظريات وقوانين علمية، لا يمكن فهمها والتوصل اليها بدون فرضيات تشـكل المادة الأساسـية لهذه النظريات والقـوانين. فالفرضية (Hypothesis) هي مجموعة من الأفكار والآراء والمفاهيم غير المبرهنة وغير المعززة بالحجج والدلائل الاحصائية، انها جواب مقترح قد تثبت صحته حيث يتفق مع الحقائق المتوفرة، وقد يكون خاطئاً ينبغي اهماله، وبالتالي البحـث عن فرض جديد. أما النظرية العلمية فهي منظومة من الأفكار يوجد بينها ترابط، يضعها في قالب منسـجم يعكس معنى المفاهيم التي يطرحها الباحث في سياق أبحاثه الأكاديمية. وهي لا تقـتصر بطبيعة الحال على مجرد الانسجام والاتساق المنطقي بين حججها وبياناتها، وانما تتعدى ذلك الى التحقيق العلمي الناتج عن اختبار أدلتها وافتراضاتها اختباراً يعتمد على التجربة والقياس وغيرها من وسائل البحث العلمي، بحيث تكون بعد ذلك قادرة على الكشف عن العلاقات الوظيفية بين ظواهر معينة وتفسيرها وتوضيح المبادئ والقـوانين المنظمة لها. أما القانون العلمي فهو المفسر للعلاقة التي تقوم بين ظاهرتين أو أكثر. فعندما نقول إن الظاهرة (أ) سببت وقـوع الظاهرة (ب). فإننا نعني إذن أنه يوجد علاقـة سببـية ومنطقـية بـين الظاهرتين. والقـوانين العلمية نوعين "سببـية" Causal laws و "وظيفية" Functional laws القوانين السببية تفسر العلاقة الموضوعية بين حادثتين أو ظاهرتين، يعتمد أحدها على وجود الآخر المستقل. كالقانون الذي يربط بين ظاهرة مستقـلة، كالحرارة مثلاً وظاهرة التبـخر أو المطر. أما القـوانين الوظيفية فتعبر عن العلاقات بين الظواهر التي توجد في آن واحد، وتتغير تغيراً نسبياً بحيث تعتبر كل منهما شرطاً من شروط وجود الأخرى، دون امكان القول أن أحدهما سبب والأخرى نتيجة. والقوانين الوظيفية تكثر في العلوم الاجتماعية وتكون صحتها أعلى نسبياً من صحـة القوانين السببية وذلك لتعقد الظواهر الاجتماعية وكثرة المتغيرات التي تؤثر فيها.

ان العلوم الاجتماعية والانسانية لا تتمتع بدقة العلوم الطبيعية لأنها لم تتمكن حتى الآن من اكتشاف القوانين السببية الثابتة التي من خلالها نستطيع تفسير الوقائع والأحداث والظواهر الاجتماعية، ويعود ذلك لصعوبة الحقل الدراسي الذي هو المجتمع والانسان، حيث تتشابك العوامل والمتغيرات مع بعضها البعض بحيث يصعب اعادة أو تفسير سلوك ما لسبب واحد أو أكثر نظراً لانفتاح الحقل الانساني على التفاعل مع هذه المتغيرات وفق أنماط مختلفة ومتعددة بحيث يصعب حصرها وتحديدها.

ولا يخفى أهمية القوانين العلمية، فهي تساعد على تفسير الغموض الذي يصاحب بعض الظواهر والوقائع، ويكشف الاسباب المؤدية لحدوث بعضها، وتساعد على حل المشكلات الطبيعية والاجتماعية التي تواجه الانسان، بل يمكنها في كثير من الأحيان التنبؤ بما سيطرأ على الوقائع والظواهر من تغييرات في المستقبل. ولكي تصبح القوانين علمية، ينبغي أن تتمتع بالقدرة على تفسير الوقائع والظواهر التي تدرسها وأن تكون قادرة على التنبؤ بها قبل وقوعها، علماً أن الكثير من القوانين العلمية تكمل بعضها البعض والقليل منها يلغي الآخر، بحيث يصبح القانون الملغى بحكم المتجاوز وبالتالي خارج دائرة العلم. نخلص الى أن القوانين العلمية، نسبية في صحتها وليست مطلقة، مما يعني أن لا أحد يملك مفاتيح العلم لوحده.

هل يمكن أن تبلغ معرفة الظاهرات الاجتماعية درجة من الدقة والوضوح تسمح بوضع قوانين يمكن تعميمها في العلوم الاجتماعية بما يشبه القوانين في العلوم الطبيعية؟ هذا السؤال كان مثار نقاش منذ القرن الثامن عشر ولا يزال. في العلوم الصحيحة (exact) القانون الطبيعي هو تعبير رياضي دائم الصحة ينتج عن علاقات متكررة وملاحظة وتجربة في الظاهرات الطبيعية. إذن انه نتاج علاقة ثابتة بين ظاهرتين أو أكثر. والعلاقة الثابتة هي من أصعب المسائل التي يمكن اثباتها أو تقريرها في العلوم الاجتماعية.

فهي مرتبطة بمبدأ الحتمية Determinism الذي يعتبر ان لكل حـدث سببـاً. والأسباب نفسها إذا اتيحت لها الشروط نفسها تنتج الأحداث نفسها، مما ينطوي على وجود قوانين خاصة تربط الوقـائع بالأسبـاب المقـدرة لها. والحتمية في الظاهرات الاجتماعية مسألة طرحت منذ نشأة علم الاجتماع واستقطبت نقاشاً موسعاً وكبيراً، لكنه خفُت منذ مطلع القرن العشرين، بسبب ما لحق بـعلم الفيزياء من تطور في مجال الميكروفيزياء، اضافة الى ما أحدثته نظرية اينشتاين النسبـية التي تقـول إن الزمن لا يمر بالوتيرة نفسها لفردين يلاحظان ذلك ويتحركان الواحد بالنسبة للآخر (١).

هذه الأفكار والقـوانين العلمية الجديدة أثرت كثيراً على الخاصية الميكانيكية الصارمة لمفهوم الحتمية التقـليدي، بحيث أصبحـت ''الحتمية'' في العلوم الطبـيعية، ''احتمالية'' في العلوم الاجتماعية، فالميدانان مختلفان. إن دراسة الأسبـاب والنتائج في الظاهرات الاجتماعية، يمكن أن تؤدي الى قوانين اجتماعية، ليست بالضرورة حـتمية الوقوع، بقدر ما يمكن أن تكون احتمالية إحصائياً، لذلك أصبحت صرامة القـوانين الاجتماعية محدودة بنسبيتها، وهي نادراً ما تكون مطلقة وعالمية، لأنها تمثل في معظمها نسبية عالية.

البحث السوسيولوجي

التعريف: يعرف علماء الاجتماع البحث بأنه مجموع العمليات المتميزة والمتتابعة والمتداخلة التي يقوم بها دارس أو أكثر في علم من العلوم بهدف جمع معلومات بشـكل نظامي تنير ظاهرة ما قابلة للملاحظة بهدف شرحـها وفهمها إنه محاولة لاكتشـاف

١- صابر بو ضرغم: خطوات البحث الاجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ط ٢٠٠٠، ص٢٢

المعرفة، والتنقيب عنها، وتنميتها، وفحصها، وتحقيقها بتقصٍ دقيق، ونقـد عميق، ثم عرضها عرضاً مكتملاً بذكاء وإدراك لكي تضاف الى الانتاج الحضاري الإنساني.

والبحث الاجتماعي يتبع نفس المسار الفكري للعلوم الطبيعية. فعن طريق دراسة الظاهرات، يجب أن يتبين القوانين التي تحكم الظاهرة وحدوثها دون التأثر بالأفكار الميتافيزيقية والشائعة. فعن طريق شرح الظاهرة تتضح العلاقات ما بين أسبابها ونتائجها(١) والبحث العلمي، اجتماعياً كان أم غير اجتماعي لا يعتبر مجرد تتابع تقنيات يطبقها الباحث بشكل دقيق لينجح في عمله. البحث الاجتماعي يتحدد، بالرغم من كونه ظاهرة خاصة بالعلم المعاصر، من التزاوج بين تقليدين أوروبيين قديمين، تقاليد النظرية الاجتماعية التي تعود الى أفلاطون، وتقاليد البحث التجريبي الذي ينتمي الى القرن السابع عشرة إن اندماج هذين التقليدين، قد تم بصورة تدريجية(٢)، بحيث أصبح البحث التجريبي والأمبيريقي، Impiric الذي يعتمد على تراكم المعطيات والأحداث الاجتماعية والموضوعية، يتكامل مع وجود همّ نظري Theoric.

في الخلاصة "البحث" يعبر عن معضلة يعاني العلم منها، ويرزح تحت وطأها، فيمارس الباحث بهدف معالجتها وحل مشكلتها وإزالة همها والتخفيف من وطأها ما نسميه "البحث العلمي".. وما دامت المعضلة العلمية قائمة وموجودة، يكون البحث العلمي موجوداً وقائماً. فحضورها يعني حضوره، وغيابها يعني غيابه، وحل مشكلتها يعني انتفاء الحاجة اليه. ما هي هذه المعضلة العلمية؟ انها معضلة الرابط بين الأفكار والتصورات النظرية (theory) من جهة، وبين الملموس والواقع والممارسة (practice) من جهة أخرى. ويستحيل الجمع بين النظرية والواقع في فعل ذهني من طبيعة واحدة. ما

١- انظر: صابر بو ضرغم: المرجع السابق، ص ٣٦ أيضاً:

Durkheim,E, {les régles de la méthode sociologique} P.U.F, quadrige, paris, 1983, 1e éd. 1901

٢-تيودور كابلو: البحث السوسيولوجي، دار المروج، بيروت، ط ١٩٨٥، ص١٠

هو ممكن ومتاح فقط ممارسة الروابط والعلاقات بينهما. والعمل يملك طريقين الى المعرفة العلمية. فإما الاستنباط (deduction) واما الاستقراء (induction) فالأول "استدلال هابط يبدأ من مقدمات كلية ويهبط منها الى نتائج جزئية تلزم عنها بالضرورة، وبغير حاجة الى تجريب. أما الاستقراء، فهو استدلال صاعد يبدأ من ملاحظة جزئيات تجريبية ليصعد منها الى صيغة كلية على هيئة قانون عام يحكم جميع الحالات المماثلة أينما وقعت ووقتما وقعت. وهكذا نجد الاستقراء في جوهرة عملية تعميم للملاحظات التجريبية" (١).

وسيبقى النقاش مفتوحاً بين الباحثين الذين ينطلقون من الواقع والباحثين الذين يعتمدون الحدس والتخيل والالهام والتكهن للملاحظة والتفسير. وكلا الموقفين فيه ثغرات، فالوقائع الملموسة مبعثرة والروابط بينها لامتناهية في عددها، وبدون النظر اليها بوصفها عناصر في نظام نظري متكامل، لن يكون بإمكاننا الوصول الى حقائق وتفسيرات علمية. كذلك فالتخيل والحدس والتخمين، لا تكون في فراغ، بل تتضمن في معناها الوقائع الملموسة التي تشكل موضوعاً لها، وإلا كانت النظرية منقطعة ومقطوعة عن الواقع(٢).

نشأة البحث السوسيولوجي وتطوره:

لا شك أن تراث الفكر الإنساني والاجتماعي قديم. ومن خلاله استطاعت المجتمعات البشرية القديمة أن تقيم حضارات عريقة لا تزال آثارها باقية حتى اليوم. ولعل هذه الآثار والمعالم التي تركتها هذه الحضارات خير دليل يشير الى أي حد إنشغل الفكر الإنساني

١- يمنى طريف الخولي: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، العدد٢٦٤، ص١٥٤.

٢- عبد الله ابراهيم: علم الاجتماع، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء المغرب، ط ٢٠٠١، ص ١٠٣.

منذ القدم في دراسته وتعرفه على البيئة الاجتماعية والطبيعية التي يعيش فيها.

وتعكس دراسة التاريخ الأغريقي القديم اهتمام مفكريه وفلاسفته من أمثال سقراط، وأرسطو وأفلاطون وهيراقليطس وغيرهم، في بحثهم المستمر حول المعرفة مستخدمين في ذلك كافة الوسائل العلمية مثل العقل والمنطق، والبحث عموماً ليس فقط فيما يحيط بهم من ظواهر، ولكن أيضاً محاولتهم بناء تصورات عما وراء الطبيعة، والأخلاق والقيم والدين والفنون عموماً.

ومع ابن خلدون (١٣٢٢-١٤٠٦) برز أهتمام الفكر العربي الاسلامي بالبحث الاجتماعي. ولعل قراءته للظواهر الاجتماعية هي من القراءات الرائدة التي استطاع فيها ان يرصد تأثير المحيط الطبيعي والمجال الجغرافي على أنماط الحياة وعلى العادات والتقاليد والعمران البشري عموماً، كما تبرز اسهامات ابن خلدون الرائدة من خلال انتقاده لطرق البحث التي تبناها المفكرون والعلماء السابقون عليه والتي لم تبرز بتقديره التغييرات التي أصابت الظواهر والحوادث الاجتماعية.

وفي القرن التاسع عشر تطور البحث الاجتماعي بصورة سريعة مع نشأة علم الاجتماع والعلوم الاجتماعية النظرية، خاصة مع تطور المسوح السكانية والبحوث الاحصائية. ففي بريطانيا تطور علم الأحصاء على ايدي جون سينكلار J. Sinclaire الذي أدخل الأساليب الكمية وصمم استمارة للبحث (Questionnaire) تتناول البيانات الأساسية، وفي فرنسا تأسست الأكاديمية الفرنسية للعلوم التي اهتمت بتطوير ميادين البحث الاجتماعي، عن طريق استخدام البيانات الاحصائية الكمية، ثم جاء تأسيس المعهد القومي للعلوم والفنون عام ١٧٩٥ ليهتم بنوع آخر من البحوث الاجتماعية مثل البحوث السياسية والأيديولوجية وتشجيع مجال البحث عموماً في المجال الأتنوجرافي الذي يهتم بدراسة العلاقة بين اللغة والرموز والعوامل الأخلاقية

والطبيعية. ومع بداية القرن التاسع عشر تزايدت الدراسات الاحصائية، كما جرى أول تعداد عن السكان، أما ألمانيا فقد شهدت أيضاً في القرن التاسع عشر حركة بحثية نشطة لدراسة المشكلات الاجتماعية الواقعية. وظهرت دراسات مستفيضة حول المشـاكل الواقعية ولا سيما مشكلات القـطاع الريفي. ولا أحـد ينكر جهود عالم الاجتماع الألماني ماكس فيبر M. Weber وتأسيسـه لمؤسسة السياسـة الاجتماعية Social policy organization والتي جاءت بـتكليف من الحكومة لاجراء بحوث متعددة استخدم فيها جميع المناهج السوسيولوجية وأدوات طرق جمع البيانات المختلفة.

شهد القرن التاسع عشر انتشار التحقيق السوسيولوجي في كل العالم الغربي، ونجد نماذج لا تحصى عن أعمال هامة في هذا المجال. كأعمال بوث (حياة وعمل السكان في لندن) وفيليرميه (لوحة عن الحالة الجسدية للعمال المستخدمين في مانيفكتورات الحرير والقطن والصوف) والجزئين المخصصين لدراسة الدعارة في باريس من كتاب باران – دوشاتوليه، ودراسات لوبليه عن الحياة العائلية للشغيلة الأوروبيين المنشورة تحت عنوان "العمال الأوروبيون"(١)

مع بداية القرن العشرين تطورت حركة البحث العلمي في جميع الدول الأوروبـية وأيضاً في الولايات المتحدة الأميركية، نتيجة لاسهامات عدد من العلماء الاجتماعيين من أمثال الفرنسي آميل دوركايم وتحليلاته عن الانتحار Suicide والتي نشرت أوائل القـرن الماضي. فضلاً عن تطور البحـث الاجتماعي عن طريق التجارب الاجتماعية وتطوير نماذج البحث والنظريات السوسيولوجية والتقنيات والأدوات البحثية والمناهج التي عززت جميعها من مكانة البحث السوسيولوجي.

لم يكن ينظر الى علم الاجتماع –حتى بداية ظهوره في القرن التاسع عشر– على أنه

١– تيودور كابلو: البحث السوسيولوجي، دار المروج، بيروت، ط ١٩٨٥، ص ١٩.

''علم'' يقوم على المناهج العلمية التقليدية المتبعـــــة في العلوم الأخرى، و لم يكن هناك ولفترة طويلة أي مجهود لإظهاره بالصورة العلمية الدقيقـــة، حـــيث كان معظم رواده يركزون جهودهم واهتماماتهم فيما أصبـــح يطلق عليه ''النظرية الكبرى'' Grand theory.

لكن مرور الوقت وتراكم الخبرات والدراسات منحــه عناصر النظرية العلمية من حيث المنظورات والمشاكل التي يتبناها. ولما كان المنظور perspective هو طريقـــه للنظر الى العالم. فإن المنظور السوســـيولوجي يضع ''المجتمع'' في طليعة اهتماماته، على اتساعه وعلى صغره، بمعناه كخالق للنظام الاجتماعي، أو بمعناه كوجود اجتماعي بناه الناس من خلال تفاعلهم الاجتماعي. ويتغلغل هذا المنظور في الصلات المعقـــدة بـــين حقائق الحياة الاجتماعية وإرتباط السلوك بالإعتقاد، مما يؤكد أن الإنسان يعيش وجوداً جمعياً، وان كل إنســـان يكشـــف فرديته ووجوده الخاص من خلال خبرته وتفاعله في مجتمع معين.

ويرجع الفضل الى جهود العلماء الأمريكيين في تطوير علم الاجتمــــاع العلمـــي والتطبيقي. مع الإشارة الى أن محاولات الرواد الأوائل، والتي أشرنا الى بـــعضها، كانت تقوم على استخدام المادة العلمية بطريقة غير مقبولة علمياً اليوم.

بـــعد الحرب العالمية الأولى اســـتطاع جيل جديد من علماء الاجتماع الأميركيين القيام بأبحاث على نطاق واسع أدت الى العديد من التجديدات المفاهيمية والتقـــنية. أما في فرنسا فقد توقف نمو البحث نتيجة للخسائر الفادحة التي سببتها الحرب والتي أصابت مدرسة دوركايم. وإذا استثنينا درأسات غابريال لوبوا حول الممارسة الدينية ودراسات أندريه زيغفريد حول السلوك الانتخابي، فإنه لم يباشر بأي بحث مهم بين الحربين. وفي ألمانيا توقف التقدم بسبب التخبط السياسي في العشرينات وصعود النازية الذي أعقبه.

أما فيما خص بقية أوروبا، وما عدا استثناءات نادرة، فإن البحث التجريبي لم يكن موجوداً حتى ولا بحالته الجنينية. ومع بداية الخمسينات فقط، عاد للظهور بحث سوسيولوجي متسع المدى في فرنسا، وانكلترا وألمانيا الغربية. وتبع ذلك بعد فترة من الزمن دراسات هامة في ايطاليا، واسكنديناڤيا، وبولونيا ويوغسلافيا، والهند والصين وفي أميركا اللاتينية.(١)

لقد أنجز الباحثون الأميركيون العديد من التحقيقات السوسيولوجية التي أصبحت من الكلاسيكيات الأساسية في العلوم الاجتماعية. ومنها "الفلاح البولوني" التي أنجزها توماس وزنانيكي والتي هدفت الى دراسة المشاكل المتعلقة بالهجرة الأوروبية الى الولايات المتحدة، وهي اعتمدت على أكثر من الف وثيقة بالإضافة الى السير الذاتية الطويلة والمشوقة للمهاجرين، وقد أجريت هذه الدراسة في جامعة شيكاغو، وهي الجامعةُ التي تأسست فيها مدرسة علم البيئة والدراسات المدينية، والتي لعب روبرت بارك دوراً مهماً في تأسيسها، وكان مفتوناً بدراسة الحياة المدينية وثقافتها بواسطة عدد من التقنيات مثل الملاحظة المباشرة، التحليل الاحصائي، دراسة الحالات، وصف لأنماط مختلفة من المهن، دراسة الوثائق الحكومية، وتحليل ما يسمى حالياً التشعبات الثقافية المنحرفة. وبالفعل أنجزت بإشرافه مجموعة كبيرة من الأبحاث، ونشرت في منشورات الجامعة، وكانت تتضمن: السكن بدون مأوى، تفكك التنظيم العائلي، عصابات الأحداث الجانحين، الغيتو، الانتحار، مناطق السكن الغنية والفقيرة، مناطق الجنوح القوي، فتيات التاكسي، العائلة الزنجية، تنظيم الدعارة، التوزيع الجغرافي للانماط المختلفة من الأمراض العقلية.

ان المواضيع التي أسست مدرسة شيكاغو لدراستها، أصبحت اليوم موضع لدراسة

١- تيودور كابلو: البحث السوسيولوجي، دار المروج، بيروت، ط ١٩٨٥، ص ١٩.



دائمة في كل مكان من العالم. بـــالإضافة الى ذلك كانت هناك دراســـات رائدة أهمها ''الحركة الاجتماعية'' لبيتريم ســـوروكين و ''ميدل تاون'' لروبـــرت ليند وزوجته، وكانت الانتاج السوسيولوجي الأكثر تداولاً آنذاك، وأعيد طبعها ست مرات في السنة التي صدرت فيها، وتعرضت لمجادلات حادة في كل الولايات المتحدة، وفيها اختـــــار مدينة صاعدة، ودرس مجمل الحياة الاجتماعية والمؤسسية للمدينة مثل (اكتساب العيش - بناء المترل - تربية الولد - استعمال أوقات الفراغ - الممارسة الدينية - المســـاهمة في النشاطات الجامعية والمدنية...) وقد تمت هذه الدراسة عام ١٩٢٥. وقد عادا الى نفس المدينة عام ١٩٣٥ مع فريق دراسة لمدة سنتين لينشـــرا من جديد (ميدل تاون في طريق الانتقال). كذلك أنجز ريمون فيرث دراسة رائدة عن شعب ''تيكوبـــيا'' البـــولينيزي الصغير الذي يعيش في جزيرة صغيرة في الباســـفيك عام ١٩٢٩، ثم عاد ببـــــعثه ثانية ١٩٥٢ وثالثة عام ١٩٦٦. هذا البحث الاتنولوجي، شغل محققه أكثر من أربعين سنة وهو يعكس مدى الاهتمام بدراسة المجموعات البشرية البســـيطة أو البـــدائية. وهذه الدراسة (تيكوبيا) تشهد بأحسن ما في علم الاتنولوجيا الحديث (الرغبـــة في العيش مع السكان المدروسين - تعلم لغتهم - المشاركة في احـــتفالاتهم، صبر متناهٍ في ملاحـــظة واستجواب ومسح كل سمة من حياة السكان الأصليين ..).

أما تجارب هاوثورن الشهيرة والمعروفة أيضاً باسم أبحاث (الوســـترن الكتريك) في مشاغل المصنع في هاوثورن قرب شيكاغو، فقد استمرت من ١٩٢٧ حتى ١٩٣٢ تحت ادراة مشتركة لكادرات الشركة وفريق من باحثي جامعة هارفرد بقـــيادة التون مايو. تتضمن التجارب خمس دراسات مستقلة تستعمل كل منها طريقة مختلفة ولكنها تلتقي كلها في استنتاج أن مردودية العمال محددة بقوة بطبـــيعة العلاقـــات الاجتماعية التي يقيمونها مع زملائهم ومع الجهاز المشرف.

وقد أنبثقت أبحاث ''يانكي ســـيتي'' من تجارب هاوثورن مباشـــرة، فقـــد كان الباحثون فيها ينوون دراسة علاقة مشاغل (هاوثورن) بالمتحد الاجتماعي المجاور. وتم اختيار (نيوباريبورت). إبتدأ العمل في الحقل عام ١٩٣١ وانتهى في ١٩٣٥ ونشـــرت نتائج البحث في خمســـة أجزاء تضمنت الحياة الاجتماعية في هذه المدينة النموذجية التي سميت بـــ (يانكي سيتي)، شمل تحليلاً أكثر تنبهاً للفئات الاجتماعية ودراســـــة لوضع ثماني مجموعـــات أثنية (الايرلنديون، الكنديون من أصل فرنسي، اليهود، الايطاليون، الأرمن، اليونانيون، البـــولونيون والروس) وكان العمل بإشـــراف وارنر W.Lioyd Warner. وكما في دراسات ميدل تاون فإن يانكي سيتي سمحت للأميركيين بأن يروا أنفسهم بشكل أفضل وكشفت أي تفاوت ضمني كان يخبـــئه التشابـــه الظاهر بـــين المؤسسات الأميركية.

أما الدراسة الفريدة فهي لوليم فوت وايت والتي تمت بين (١٩٣٧-١٩٤٠) فقد درس ''مجتمع الشارع''، وكان هدف بحثه تحديد الروابـــط الموجودة بـــين جمعيات الأحداث وابتزاز المال بالطرق الممنوعة والنظام السياســـي المحلي في كورنفيل. وقـــد وصف في الجزء الأول من مؤلفه عصابة من الأحداث تسمى (النورتون) وأخرى تسمى نادي الجماعة الايطالية. اشـــتهر هذا البحـــــث لما تضمن من أوصاف ومهارة لافتة للأنظار، فقد كاد يتحول الباحث من ملاحظ غير مشارك الى مشارك غير ملاحظ نظراً الى شعوره الذي كان أكثر قرباً الى عصابة النورتون. مجتمع الشارع دراسة هامة ومميزة تتألف من مزيج من العناصر الموضوعية والذاتية.

في الواقـــع هناك انتاج بحثي ضخم في أميركا مثل دراســـة وضع الزنوج في أميركا والذي تم بإدارة ميردال وهو عالم اجتماع سويدي ومعه مائة وخمسون باحثاً، وهذا يمثل أحد الجهود الجماعية الكبرى للأبحاث حتى اليوم، كذلك كان لبحـــث البروفســـور

بول لازرسفيلد ''اختيار الشعب'' عن السلوك الانتخابي وممارسة السياسة في الولايات المتحدة تأثير كبير، واطلق موجة أبحاث في علم الاجتماع السياسي عن الانتخابات في البلدان الديموقراطية. لسنا في الواقع في صدد رصد الأبحاث الرائدة وهي كثيرة، لكن مراجعة التراث البحثي السوسيولوجي تشير الى التطور اللافت منذ بداية القرن العشرين، الذي أصاب البحث السوسيولوجي وخاصة في الولايات المتحدة الأميركية.

نخلص الى أن الجهود التي بذلت لجعل السوسيولوجيا تتمشى مع قواعد المنهج العلمي في البحث، قد حققت انجازات هامة في القرن العشرين. فإلى جانب تقنيات جمع الحقائق، هناك صياغة الفروض لإقامة العلاقات بين المتغيرات المستقلة independent variables والمتغيرات التابعة dependent variables حيث تصبح الأخيرة الظاهرة التي تفسر عن طريق الاختلاف الظاهرة الأولى. فمثلاً اذا كان مقدار الدخل يزيد بإرتفاع درجة التعليم فإن التغيير في درجة التعليم (متغير مستقل) يؤدي الى تغير في مقدار الدخل (متغير تابع). يعتبر هذا نموذجاً بسيطاً في تطور التحليل العلمي الذي استفادت منه الأبحاث السوسيولوجية عموماً ولكن بشكل أكثر تعقيداً، ذلك أن الأبحاث السوسيولوجية لا تكتفي بمتغير واحد نظراً لما في النظام الاجتماعي من تعقيد. وبالنتيجة أصبحت الطرق الاحصائية أيضاً وسائل مناسبة ومعتمدة للبحث السوسيولوجي وأصبح من الواضح أن علم الاجتماع يؤكد على التحديد الكمي للظاهرة المدروسة والمدعم بالقياس الاحصائي. إلا أن هذا لا يعني اختفاء أو انتفاء الحاجة الى الأبحاث التي تعتمد الدراسة الكيفية والتي تعمل على تحليل أعماق الموضوعات عن طريق الملاحظة المتعمقة.

الموضوعية في البحث السوسيولوجي:

الموضوعية objectivity هي من الخصائص المحورية في البحث العلمي عموماً. وبتعريف محدد هي: خاصية تظهر في محاولة التقليل من الأخطاء التي تترتب على التحيز الإجتماعي أو السيكولوجي لفرد أو لجماعة عند تفسير أو فهم ظاهرة معينة(١). وصعوبة الموضوعية في البحث السوسيولوجي تتبدى في أن الظاهرة أو المشكلة الاجتماعية لا يمكن قياسها أو اختبارها بصورة مباشرة، بل يمكن تحقيق ذلك اعتماداً على مؤشرات ومتغيرات وتحليل علاقتها ببعضها البعض وبجوهر الظاهرة ومحيطها الخارجي. لذلك مهمة الباحث الاجتماعي صعبة، وتتطلب تشخيصاً واضحاً ودقيقاً للظاهرة كي يمكن تفسيرها بشكل علمي وصادق مبني على البرهنة وليس على التبرير، وبعبارة أخرى يقوم على تعليل أسباب قبول الفروض أو عدم قبولها. لذلك تصبح الموضوعية مفتاح البحث الاجتماعي الذي يريد الوصول الى الحقيقة، بل تصبح احدى الأدوات التي تبعد التحيز وتقلل من العامل الذاتي في التفسير، وبالتالي تسمح بتحقيق نتائج معقولة قابلة للتعميم.

لذلك يرى معظم علماء الاجتماع المعاصرين أن وظيفتهم ليست هي دراسة ما يجب أن تكون عليه الحياة الاجتماعية ولكن دراسة ما هي عليه في واقع الأمر. لهذا فهم يفصلون تماماً وجهات النظر الأخلاقية والفلسفية والايديولوجية والدينية عن وجهة النظر السوسيولوجية. وهي العملية التي تسمى "القطع السوسيولوجي" والتي بها يبتعد الباحث عن التفسيرات الجاهزة أو الشائعة وعن الأفكار المسبقة الشخصية أو غير الشخصية. والهدف الأساسي من هذه العملية هو الوصول الى تفسير علمي وموضوعي للحياة الاجتماعية. وللوصول الى الموضوعية يجب أن نبتعد عن التحيز نسبياً، كما يجب

١- محمد عاطف غيث: قاموس علم الاجتماع: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩، ص ٣٠٧.



ألا نفسد الحقائق الاجتماعية عن طريق مشاعرنا الخاصة نـــحوها.

إلا أن الموضوعية الكاملة تعتبر أمراً صعب المنال لأن التحيز والأفكار المسبقة يميزان التفكير في الأمور المتعلقة بالحياة الاجتماعية، وبإختصار نـــــــــحن لا نرى الموقف الاجتماعي كما يراه الآخرون لأن عواطفنا وميولنا واتجاهاتنا وآراءنا الخاصة تقـــــف حائلاً بيننا وبين الموضوعية المطلقة.

التفكير الموضوعي اذن ليس أمر سهلاً لأنه يتطلب تدريباً وتجربـــة وتحكماً عالياً، لأننا تعلمنا وتعودنا أن نستجيب بذاتية وعفوية لسلوك الآخرين وان نحكم وأن نقـــيم وأن نحب وأن نكره. وقد نكون في موقف ما أكثر موضوعية، وفي موقـــف آخر أقـــل موضوعية، كذلك قد يكون شخص ما أكثر موضوعية من الآخر، فالموضوعية هي في النهاية مسألة نسبية. وقد حاول علماء الاجتماع الالتزام بـــأعلى درجات الموضوعية، وتوصلوا بالفعل الى درجة لا بأس بها من النجاح. وليس هناك شـــك في أن الأدوات البحثية والتقنيات والمنهجية التي يلتزم بها الباحث السوســيولوجي المعاصر ســاعدت علماء الاجتماع عموماً على التوصل الى ملاحـــظات موضوعية نسبـــياً، عن الظواهر والوقائع الاجتماعية.

الباحث الاجتماعي هو محرك البحث، وبالتالي فهو بقـــدر ما يتعامل مع الظواهر والمشكلات الاجتماعية كأشياء خارجة ومستقلة عنه، ينجح في دراســـتها موضوعياً، لذلك عليه تنحية كل اعتبار انفعالي أو عاطفي أو قيمي أو طائفي والتحرر من ســـلطة العرف الاجتماعي والابتعاد عن الأحكام المتسرعة والارتجالية، ليســـتطيع ســـبرغور الحدث وادراك كنهه وتشخيص المسببات الأولية والثانوية المسهمة في وقـــوع الحدث دون التأثر بالشائع أو بالميول المسبقة. تتطلب الموضوعية العلمية من الباحث:

١ – الابتعاد عن الأحكام القيمية والانفعالية والشـــخصيةن وهذا يتطلب فصل الذات

والرغبات الشخصية وقيم الباحث وتقاليده الاجتماعية عن التفسير والتحليل للظواهر والوقائع الاجتماعية.

٢- الالتزام بالحياد العلمي، ذلك ان عالم الاجتماع الحقيقي هو الذي يبحث عن الحقيقة، وليس عن الشائع والموجود في المعتقدات والتفسيرات التي يتداولها الناس. لهذا تكون الموضوعية في هذه الحالة قيمة Value وتتجسد في البحث عن المعرفة.

٣- كشف الظروف المحيطة بالواقع الاجتماعي، مما يفرض نبذ التعصب للرأي، والابتعاد عند الانقياد الأعمى لآراء وأفكار العلماء أو الباحثين السابقين أو المعاصرين، عند دراسته لأي ظاهرة أو مشكلة اجتماعية.

٤- احترام الباحث آراء غيره من الناس ولو كانت مغايرة أو متناقضة لأن الموضوعية تعني ملاحظة الحقيقة كما هي بغض النظر عن مصدرها.

ولما كانت الحقائق الاجتماعية نسبية وليست مطلقة، نجد الأبحاث الاجتماعية مليئة بعبارات مثل "غالبا ما" و "ربما" و "قد يرجع ذلك" بدلاً من "قطعاً" و "حتماً" و "مطلقاً".

ولتحقيق أكبر قدر من الموضوعية كانت كما أشرنا، الأدوات والتقنيات المنهجية، بالإضافة الى التحديد الدقيق لأبعاد الموضوع ووضع الفرضيات وتوضيح المفاهيم المتعلقة بمجتمع الدراسة وتحديد حجم العينة، واستخدام الأسس العلمية في جمع البيانات والتحليل الكمي والنوعي، كلها اجراءات وقائية لحماية الباحث من الشطط، وبالتالي لتوفير أكبر قدر من المستلزمات التي تؤمن الموضوعية العلمية في البحث الاجتماعي الميداني.

أنواع البحوث السوسيولوجية:

تعددت أنواع البحـــوث الاجتماعية مع تطور علم الاجتماع ونظرياته ومناهجه واختلاف طرق وأدوات جمع بياناته بصورة عامة. وهذا التعدد هو نتيجة لتنوع مجالات وميادين وموضوعات وقضايا علم الاجتماع، وهو ازداد بـــصورة مطردة نتيجة لتعدد الخبرات والتخصصات العلمية والأكاديمية وفروع علم الاجتماع ككل.

كما جاءت عملية التنوع في البحوث الاجتماعية نتيجة طبيعية لحرص الباحـــثين السوسيولوجيين على الاستفادة من مختلف الخبرات والجهود العلمية الأخرى، ويعكس تحليل التراث السوسيولوجي لتطور علم الاجتماع والحركة البحثية مدى حرص الرواد الأوائل على ضرورة الاســـتعانة بـــعلوم الفيزياء مثل اهتمامات أوجســـــت كونت A.Comte أو استخدامات هربرت سبنسر H.spencer لعلم البيولوجيا واستعارته للمماثلة البيولوجية على وجه الخصوص، أو كتابـــات ماكس فيبر M.Weber عالم الاجتماع الألماني عند تركيزه على أهمية استخدام التحـــليل السوســـيولوجي التاريخي المقارن في دراسته لكثير من الظواهر والأحـــداث والقـــضايا الاجتماعية، أو تحليلات باريتو V.Pareto عالم الاجتماع الايطالي واســـتخدامه لعلم النفس والرياضيات على سبيل المثال، وغير ذلك من التحليلات والمقاربات التي سعت للإســـتفادة من خبرات العلوم الطبـــيعية والاجتماعية ومحاولتها لاثراء تراث علم الاجتماع وتطوره بـــصورة مســـتمرة. وعلى الرغم من التنوع والتعدد في الأبحاث السوســـيولوجية وفي مناهجها وطرقها، إلا أنها تندرج وفق التصنيف التالي:

١- البحوث الكشفية Exploratory Researches وتسمى أحياناً بحوثاً استطلاعية وتستهدف التعرف على ظاهرة أو مشكلة محددة بغرض اكتشـــاف حقـــائق أو أفكار جديدة تساعد الباحثين على تحديد أبعاد مشكلة البحث بصورة دقيقة، ويمكن أيضاً أن

يستهدف هذا النوع من البحوث الإجابة على التساؤلات أو الفروض المسبقة التي يطرحها الباحث ويجعلها موضع التجربة والدراسة بواسطة البحوث اللاحقة أو التالية لها. ويمكن أن نحدد أهداف هذا النوع من البحوث كما يلي:

-صياغة المشكلة المراد بحثها بصورة دقيقة وكشف أبعاد جديدة فيها.

- تحديد فرضيات بحثية جديدة.

-تعميق تعرف الباحث على مختلف جوانب البحث أو الظاهرة المراد دراستها.

- جمع البيانات والمعلومات والمعطيات المرتبطة بالمشكلة المدروسة.

ويعتمد هذا النوع من البحوث على مراجعة نتائج الدراسات والبحوث التي أجريت قبل ذلك والتي ترتبط بمجتمع الدراسة أو الظاهرة ذاتها، وهذا يوفر الكثير من الجهد والتكاليف، كما يسهم في تنويع الفروض والتساؤلات التي يطرحها الباحث للإجابة عليها والتي توجه البحث ومتطلباته.

٢-البحوث الوصفية Discriptive Researches هذا النوع من البحوث والدراسات يشمل دراسة الحقائق الراهنة المتعلقة بظاهرة أو موقف أو عدد من الأفراد أو مجموعة من الأحداث أو الأوضاع أو المواقف الاجتماعية. وهذا النوع من الدراسات لا يستلزم وجود فرض أو تساؤل مسبق يرتبط بتوقع حدوث الظواهر أو تحديد أسباب تكرارها في الواقع. وبالتالي تحدد مهمة الباحثين في وصف الواقع بدون فرضيات مسبقة، لكن هذا لا يمنع أن الباحثين يمكن أن يركزوا على جوانب معينة أو مشكلة معينة يراد توضيحها، ولكن مهمتهم تنحصر في وصف وتدوين البيانات وجمع المعطيات من الحقل الميداني أو من السجلات والوثائق أو عن طريق كبار السن وأصحاب التجارب.

وأول مواصفات هذا النوع من البحوث هو أن تكون شاملة ومستفيضة ويستلزم ذلك

من الباحثين الدقة في جمع ووصف الأشياء والوقائع والحقائق، بالإضافة الى توفر خطة أو تصميم بحثي، يوجه خطا الباحثين، بما يقلل من الأخطاء الذاتية والأحكام المسبقة لا سيما في مرحلة جمع البيانات وتدوينها، وتجدر الإشارة الى أن هذا النوع من البحوث يفرض بالإضافة الى جمع البيانات والمعلومات وتبويبها وترتيبها بصورة دقيقة، أن يقوم الباحثون بمناقشة وتفسير وتعليل المشكلة المدروسة، وهذا يستلزم خبرة عالية، وإلماماً جيداً بمجتمع الدراسة أو المشكلة، سواء عن طريق الخبرة أو التدريب. لكن يجب التنبيه الى أن المناقشة والتفسير والتعليل تتم في الغالب في المرحلة التالية وهذا يعني أن البحوث الوصفية يمكن أن تتم في مرحلتين:

١- مرحلة الاستكشاف أو الصياغة Explorative and formulative stage.

٢- مرحلة التشخيص والوصف المعمق Diagnostic and intensive stage.

وترتبط كل من المرحلتين بالأخرى، خاصة وأن البحوث العلمية ومنها البحوث الوصفية تسعى لدراسة مشكلة معينة دراسة دقيقة، وتهدف الى تحقيق أهداف وغايات محددة، ومنها تفسير البيانات وتشخيصها ووصفها بصورة معمقة وليس بصورة سطحية وسريعة. ولا بد من مراعاة مسألتين في هذا النوع من البحوث، تتمثل الأولى في العمل على التقليل من احتمال التحيز في وصف البيانات أو تقويمها، وتتمثل الثانية في الاقتصاد بالجهد للباحثين مع امكانية الحصول على أكبر قدر ممكن من المعطيات.(١)

٣- البحوث التشخيصية Diagnostic Researches وهي البحوث التي تتجه الى اختبار الفروض السببية، لكونها تتناول دراسة الأسباب المختلفة والمؤدية لحدوث الظاهرة أو المؤدية الى تكرراها. وغالباً ما تشترك مجموعة من العوامل في حدوث الظاهرة. فمشكلة الزيادة السكانية في العالم الثالث لا يمكن تعليلها بعامل واحد،

١- محمد علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، دار المعرفة الجامعية، الاسكندرية، ط ١٩٨٦، ص ١٨٩.

اقتصادي أو اجتماعي أو سياسي أو ثقافي، بـــل يمكن القـــول أن مجموع هذه العوامل تتشارك بنسب متفاوتة في حدوث الظاهرة.

ومع تقدم البحوث الاجتماعية، تم الاستعانة بالملاحـــظة والتجربـــة، وتم اخضاع الكثير من الظواهر أو المشكلات الاجتماعية المراد درسها للتجربة العلمية. فعلى سبيل المثال عندما يريد الباحث معرفة أسباب انخفاض الانتاج في أحد المصانع، فإنه يضع جملة فروض يقدر حسب التشخيص الاولي انها قد تكون من المسببات، فمثلاً يراقـــب تأثير الضوضاء، أو قلة الإضاءة، أو سوء التهوية. ويستطيع أن يجري بعض الاختبارات وأن يقارن بينها وأن يصل الى نتائج تؤدي الى زيادة الانتاجية.

٤ – البحوث التقويمية Evaluation Researches ظهر هذا النوع من البحـــوث مع تطور علم الاجتماع واوتساع مجالاته البحثية التي أضافت أبعاداً جديدة لمقاربة وتحليل المشكلات والظواهر ومصطلح التقويم Evaluation يستهدف تحقيق بـــعدين، الأول تقرير الجدوى أو القيمة الاجتماعية لنشاط أو برنامج معين، والثاني هو قـــياس الدرجة التي يحقق عندها هذا النشاط أو البرنامج الأفعال المنسوبة اليه أو المتوقع منه تحقيقها. إذن البحوث التقويمية تستهدف تحقـــيق بـــعدين متكاملين هما: تحديد القـــيمة أو الجدوى الاجتماعية، وقياس مدى تحقيقها.

تعتبر إذن البحـــــــوث التقـــــــويمية نوعاً من التجريب الاجتماعي Social Experimentation خاصة وأن أي عمل أو برنامج أو خطة أو مشـــروع اجتماعي يمكن أن يكون موضوعاً للدراسة التقـــويمية، لا سـيما وأن هدف الجودة والانتاجية العالية، والتطور والاصلاح، من الأهداف الأساســية للعاملين في المجال العام والخاص على حد سواء.

ومن أبـــرز الخصائص التي تميز الأبحاث التقـــويمية أنها تهدف مباشـــرة الى تحديد



الانجازات المحققة والمقررة وفق برامج العمل على ضوء مبـــدأ ما تم انجازه وما كان يجب أن ينجز، بالإضافة الى نوعية الانجاز وجودته. وهنا يجب الاشارة الى أن خبرة الباحـــثين ضرورية في هذا النوع من الأبحاث والتي تفرض الالتزام بمجموعة من المبادئ وهي:

-صياغة اهداف البرنامج المطلوب تقويمه والنتائج المتوقع انجازها وقياس هذه النتائج.

- وضع معايير للفاعلية والكفاءة في تصميم البحث.

- اختيار الأدوات البحثية المناسبة وتطبيقها بصورة موضوعية وتفســير النتائج وتحديد مدى النجاح ونسبة الفشل والشروط الآيلة الى تجاوز العقبات.(١)

هذا النوع من البحــوث يفتح البـــاب أمام مجال جديد من مجالات البحــــث الاجتماعي، وبالتالي يساهم في معرفة معدلات ومستويات تحقــيق الفاعلية والكفاءة والانجاز والجهد والأداء الوظيفي والمهني للقائمين على المشروعات والبرامج والموجلين تحقيق الأهداف والغايات العامة لها، ومحاولة دراستها بصورة مســتمرة لتقــييم مدى نجاحها أو فشلها من أجل تطويرها. وأكثر ما يستخدم هذا النوع من الأبحاث في برامج التنمية الاقتصادية والاجتماعية والرفاهية والرعاية الاجتماعية.

أما بالنسبة لحجم البحث وقيمته العلمية، فيمكن اعتبـــار البحــوث ثلاثة أصناف عموماً: المقالة، والرسالة، والأطروحة.

المقالة بالانكليزية Termpaper وبالفرنسية Article, propos، هي بحث قصير لا يتوخى التعمق كما في حالة الرسالة أو الأطروحة، يلجأ اليه عادة في سنوات الاجازة لامتحان الطالب أو لتدريبه على جمع المعطيات، وترتيبها ترتيباً منطقياً، والتأليف بينها والتدرب على الأمانة والدقة في النقد والفهم ومحبة العمل (٢).. وقـــد لا تأتي المقـــالة

١- عبد الله محمد عبد الرحمن: علم الاجتماع، النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ط١٩٩٩،ص١٤٤.

٢- اميل يعقوب: كيف تكتب بحثاً أو منهجية البحث، جروس برس، طرابلس لا.ت، ص ٢٨.



عموماً باكتشاف جديد، لكنها قد تفتح آفاقاً جديدة للبحث والاكتشاف، أما عدد صفحاتها فمحدود ولا يتجاوز العشرين صفحة عادة.

وأما الرسالة بالإنكليزية thesis وبالفرنسية mémoire فتسمية أكاديمية تطلق على بحث يقدم لنيل شهادة الدبلوم أو الماجستير على اختلاف التسمية بين الجامعات. والغاية منها تقويم منهج الطالب أكثر من هدف الاكتشاف، فهي مقدمة لأطروحة الدكتوراة التي تهدف الى الاكتشاف والابتكار، ولذلك يتم التركيز في مناقشتها على المنهج أكثر من الأمور الجديدة التي أتت بها.

أما الأطروحة بالإنكليزية dissertation وبالفرنسية thèse فهي الأخرى تسمية أكاديمية تطلق على البحث الذي يقدمه الطالب لنيل شهادة الدكتوراه، في اختصاصه، وهي ارفع درجات البحث قيمة وعلماً ومنهجاً، وتقوم بالإضافة الى منهجها، على ما تكشفه في مجال الدراسة من أمور خفيت على المتقدمين أو التبست عليهم أو أهملوها، وعلى ما تقدمه للعلم من مستجدات تساعد على تطوره ونمائه. أما عدد صفحاتها فغير محدد، فقيمة الأطروحة أو الرسالة عموماً ليست بعدد صفحاتها، بل بمنهجيتها وإسلوبها، وما تكشفه في موضوعها.



الفصل الثاني

البناء النظري للبحث السوسيولوجي

اختيار الموضوع وشروطه:

لا شك أن أهم مشكلة تواجه الطالب هي اختيار موضوع بحثه، فهو لا يعرف كيف يختار، وما هي البحوث التي عولجت، وما هي التي يمكن معالجتها. واختيار موضوع أو مشكلة البحث ليس عملية سهلة يمكن أن تتحقق دون بذل الجهود الفكرية والعلمية المكثفة والدقيقة. فالباحث لا يمكنه القيام ببحث ناجح، له أهميته النظرية في زيادة المعلومات الأكاديمية لاختصاص معين دون تحديد عنوانه وصياغة مجاله وتحديد أبعاده وتثبيت أهدافه وأغراضه الأساسية. ومن أصعب المهام التي يقوم بها الباحث تشخيص موضوع البحث وفصله عن المواضيع الأخرى المحيطة به. وبعد معرفة وتشخيص موضوع البحث ينبغي حصره بدقة كي يمكن الاحاطة به ودراسته من جميع الجوانب. فالباحث مثلاً لا يستطيع دراسة العوامل المؤثرة في العملية التربوية دراسة علمية تجريبية واحصائية نظراً لكون هذا الموضوع عريضاً ومتشعباً وشائكاً. فالعوامل المؤثرة في العملية التربوية كثيرة ومتعددة منها ما يتعلق بالطلبة الدارسين ومنها ما يتعلق بالمعلمين ومنها ما يتعلق بالتفاعل السيكولوجي والنفسي بين الطلبة والمعلمين ومنها ما

يتعلق بالمناهج والكتب المقررة ومنها ما يتعلق بالعائلة وأساليبها التربـــوية والاجتماعية والأخلاقية ومنها ما يتعلق بوســـائل الإعلام الجماهيرية ومنها ما يتعلق بالمؤسســـات البنيوية التي تؤثر في العائلة والمدرسة ومنها ما يتعلق بالمجتمع المحلي الذي يتفاعل معه كل من الطالب والمعلم. والباحث لا يستطيع الاحاطة بجميع هذه العوامل في آن واحد عند قيامه ببحث يتعلق بالعوامل المؤثرة في العوامل التربوية. لذلك يجب على الباحـــث أن يحصر موضوعه البحثي في جانب يمكنه الاحاطة به واشباعه درساً.(١)

وبالإضافة الى امكانية حصر الموضوع البحثي وتحديده ليسهل دراسته وتحليله بعد فصله عن المواضيع الأخرى، يجب أن تتوفر الرغبة الشخصية لدى الباحث للقـــيام بهذا البحث، لذلك ينصح بأن يختار الباحث بنفســـه موضوع بحثه، لأنه يعلم أكثر من غيره .بميوله وتكوينه الثقافي والفكري، مع التشديد على أن المواضيع التي لا يستطيع الباحث فيها أن يفصل نفسه عن الموضوع تفقـــده ميزة الموضوعية والحياد والأمانة التي يجب أن يتصف بها.

ومن مواصفات البحث أيضاً الجِدَّة، أي أن يكون جديداً غير مطروق، إلا اذا وجد الباحث أنه يستطيع أن ينقض قديماً ويأتي بجديد في موضوع سبق معالجته. كذلك لا بد أن يتساءل الباحث عن أهمية الموضوع الذي اختاره، فليس كل موضوع جديراً بـــأن يكون بحثاً. تبقى الإشارة الى ضرورة توفر القدرة على معالجة الموضوع، فكرياً ومادياً، مع توفر الوقت اللازم لإنجازه. فالقدرة الفكرية والثقافية تعني أن توفر المراجع الأجنبية في بحث ما يقتضي إتقان هذه اللغة من قبل الباحث. أما توفر المال والوقـــت فينبـــغي وضعهما في الحسبان، ذلك أن الأبحاث الميدانية والمســـوح الشـــاملة تتطلب مجهودات وإمكانيات كبيرة، على الطالب أن يسأل نفسه ويقيّم امكانياته قبل الشروع في تبـــني

١- احسان محمد الحسن: المرجع السابق، ص ٣٣.

البحث الذي يتطلب امكانيات تفوق قدراته.

تحديد الموضع:

بعد أن يستقر رأي الباحث على موضوع معين للدراسة، من الطبيعي أن يرافقه القلق والتوتر والشعور بعدم الوضوح في مختلف جوانب البحث، وهذا أمر طبيعي. لذلك عليه الانتقال الى مرحلة تكوين فكرة واضحة عنه، وذلك بالاطلاع على المراجع التي سبقت وعالجت أو تطرقت الى مواضيع قريبة منه. ولا يعني هذا تشويش الذهن بقراءات لا عد لها ولا حصر، كما لا يعني جمع الاحصائيات المتعددة بهدف استخلاص فكرة أو قبس ينير في تحديد معالم اختياره للموضوع. الهدف من القراءة شحذ الذهن بدلاً من حشوه. فالاطلاع بعمق وتبصر على بعض المراجع المنتقاة وترجمة بعض المعطيات الاحصائية ذات الدلالة، خير معين للباحث، عدا عما في ذلك من اختصار كبير للوقت والجهد.

هذا العمل الفكري يزود الباحث بفكرة واضحة عن بحثه، ويبين له الطرق التي اتبعت في دراسات مشابه، فيستفيد بذلك من خبرات غيره، ويدرك الحدود والمفاهيم التي استعانت بها، كما يستطيع تكوين اطار نظري يتمكن من خلاله اكتشاف المتغيرات التي أثرت في ظهور الحدث الذي انتقاه موضوعاً لدراسته فيسهل عليه بالتالي دراسته والاحاطة بمعظم جوانبه.

واذا لم تكف قراءاته في تحديد موضوع البحث وحصره بدقة، فعليه اجراء مقابلات مع أشخاص يملكون المعلومات، بحكم عملهم أو خبراتهم، ليستفيد برأيهم وليتمكن من فهم الموضوع بشكل أدق، ومن تحديد الأهداف بسهولة ويسر، ولا بأس إذا ما خرج من هذه الاجتماعات برأي يخالف رأيه، فهو بذلك يتجنب إهمال بعض الجوانب التي قد

تكون مهمة لدراسته.(١)

أهم ما يجب القيام به في هذه المرحلة، هو القطع مع الشائعات والأحكام المسبقة، فالبناء عليها لا يشكل مدخلاً علمياً لفهم الظاهرة موضوع الدراسة، إن تجاوزها يخلص الباحث من وهم اعتقاده بإمتلاك تفسير لها ويدفعه نحو التفكير بإتجاهات جديدة، مما يقوده الى طرح أسئلة وتقديم فرضيات تفتح مداخل متنوعة لمعالجة وتعليل الظاهرة.

الصعوبة الأولى هي في كيفية بدء العمل بالنسبة للباحث، فهو في هذه المرحلة يملك تصوراً مبهماً لمشروع بحث، يحاذر من مقاربته ويتردد طويلاً أمام محاوره. ولكن لا يجب القلق فالخطوة الأولى لإزالة هذا القلق تكمن في صياغة الموضوع الذي اختاره عنواناً لبحثه بشكل سؤال يتفرع عنه أسئلة بسيطة وواضحة. ولا ينبغي التردد في إعادة صياغة التساؤل المبدئي والتساؤلات المتفرعة عنه حتى تصبح أكثر وضوحاً وعمقاً ومرتكزه على الواقع الحقيقي للظاهرة المدروسة. ولا خوف إن كثرت الأسئلة في ذهن الباحث في البدء، فعن طريق النقد والتفكير بها ومناقشتها، إذا أمكن مع الآخرين تتضح شيئاً فشيئاً، وتدفع الباحث في الاتجاه الصحيح.

فيما تقدم خطوات أساسية عادة ما تحتويها المقدمة المنهجية والتي تتضمن النقاط التالية:

- عنوان الموضوع وأهميته.
- تحديد الموضوع وأسباب اختياره.
- اشكالية البحث.
- الفرضيات.
- المنهجية والتقنيات.

١- صابر بو ضرغم: المرجع السابق، ص ٣٧.



-الصعوبات والعقبات.

-أقسام الدراسة.

ورغم الاختلاف بين الباحثين حول ضرورة أن تحتوي المقدمة كل هذه النقاط، وفق هذا التبويب أو وفق غيره، فإن الباحث الناشئ لا غنى له عن المقدمة المنهجية، فهي تسهم في اغناء امكانيات احاطته بالموضوع، وتجعل نشاطه الذهني مكثفاً على نقاط محددة، مما يبعده عن الشطط والاستطراد. وقد يعمد البعض من الباحثين الى التخلي عن المقدمة وفق هذا التبويب، معتمداً الدخول المباشر في موضوع البحث، مفضلاً ان تكون الاجابة على الاشكالية والفرضيات مندمجة في سياق البحث الذي يكشف القارئ أهميته وأسباب اختياره. وهذا أسلوب معتمد، لكنه يتطلب خبرة بحثية وقدرة على الامساك والاحاطة بمختلف الجوانب المذكورة. وهذا يعني أنه لا بد من تحديد الموضوع وصياغة الاشكالية والفرضيات بشكل دقيق، ولا بد من تحديد المنهجية والتقنيات بشكل واضح، حتى ولو لم يرد الباحث الاشارة اليهما تفصيلاً في المقدمة، علماً أننا نميل الى أن يلجأ الباحثون الناشئون الى اثبات هذا التبويب بشكل واضح في المقدمة المنهجية والتي تشكل بكليتها ''لحظة وعي الباحث لبحثه، يُطلب منه فيها الابتعاد عن البحث وأخذ مسافة منه، مع الأمل أن يكون للحظة الوعي هذه دورها وفعلها وتأثيرها العلمي عنده''(١). لقد تحولت المقدمة الى جزء لا يتجزأ من كل بحث علمي وبداهة من بداهات، بل أصبحت ضرورة، يؤكد فيها الباحث وعيه لمختلف جوانب البحث وأبعاده.

الاشكالية: ويفضل البعض مصطلح ''المسألية''، وهي في كل الأحوال ترجمة

١- عبد الله ابراهيم: علم الإجتماع (السوسيولوجيا)، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١، ٢٠٠١، ص ١٤٠.

للمصطلح الفرنسي Problematique وهي ليست شيئاً محدداً في الظاهرة الاجتماعية، بل هي تعبير عن سياق الظاهرة ومسارها وحركتها، لذلك هي ليست شيئاً يمكن حصره بعنصر واحد أو حتى عدة عناصر، فهي تشمل جميع العناصر المكونة للظاهرة الاجتماعية في فاعليتها وديناميكيتها، لا في حالة سكونها. الظاهرة الاجتماعية شيء حي، والشيء الحي في المجال الاجتماعي هو الشيء الذي تحركه ديناميكية معينة، وهي لكي تستقيم ينبغي أن تصدر عن حالة توازن داخلي خاص بالظاهرة. لذلك تأتي الاشكالية كتحديد شامل لمعنى الموضوع وبعده النظري، فهي بمثابة الحدود النظرية العامة والداخلية لمجمل الظاهرة الاجتماعية المدروسة، ومن هنا أهمية تحديد هذه المسألية في بداية البحث وليس في بداية التحليل. الاشكالية اذن هي التي تشكل مرتكز أو محور البحث الداخلي والفكرة الهاجس المسيرة للبحث، والتي تشغل بال الباحث والتي تعبر عن نفسها في عملية فكرية يطرح من خلالها الباحث الأسئلة على الظاهرة المدروسة، وهي أسئلة تبقى من دون معنى إذا لم يعِ الباحث أبعادها النظرية. فالأسئلة والأجوبة هي نتاج وعي معين، وبالتالي فإن هذه الأسئلة والأجوبة تعكس اشكالية البحث(١). ويقول بيار بورديو في هذا الخصوص، في كتاب "مهنة السوسيولوجي": "في كل مرة لم يعِ عالم الاجتماع المسألية التي تتضمّنها الأسئلة التي يطرحها، يحرم نفسه من فهم تلك التي يتضمنها مجيبوه في أجوبتهم"(٢). فالأجوبة كما الأسئلة تنتج عن وعي معين، وبالتالي فانها تحمل مسألية تماماً مثلما تحمل الأسئلة مسألية.

كيف يتم ابراز اشكالية البحث؟ تتم العملية على ثلاث مراحل:

١- فريدريك معتوق: معجم العلوم الاجتماعية، أكاديميا، بيروت، ط ١٩٩٣ ، ص ٢٦٨.

2-Bourdieu,P., Le métier du sociologue, éd. Mouton, Paris, 1980 (3éme éd.), P.70

أولاً: نعيد النظر في المسألة التي طرحها السؤال المبدئي، على ضوء النتائج التي استخلصت من القراءات والمقابلات. وهذا يعني تبيان العلاقات والتناقضات ومختلف مقاربات الظاهرة وربطها بإطار فكري محدد.

ثانياً: ربط البحث في الأطر النظرية السوسيولوجية واستنباط اشكالية مناسبة. وعلى ضوء الاشكالية التي يختارها الباحث يأخذ السؤال المبدئي معنى مميزاً.

ثالثاً: ايضاح الاشكالية بصورتها النهائية عن طريق عرض وتحديد المفاهيم النظرية.

نخلص الى أن الاشكالية اذن هي الأساس النظري الذي يقوم البحث عليه، أو الحقل النظري الذي يدور الفهم فيه، هي الخيط الذي يجمع في البحث أفكاراً لا معنى لها في تفرقها ولا تقبل الفهم في تفرقها. انها قضية نظرية كبرى يدور النقاش حولها وفيها، وتعرف مواقع مختلفة في النظر اليها وتبنيها واستخدامها. فإما نقاش يدور بين موقعين نظريين ضمن الاشكالية الواحدة، وإما نقاش يدور بين اشكاليتين في الموضوع الواحد، مما يفرض على صاحب الاشكالية أن يعي موقعه داخل الاشكالية الواحدة. أو يعي موقع إشكاليته بين اشكاليات عدة أنتجها تعدد الاتجاهات والتيارات الفكرية.

نحن اذن أمام خطوة منهجية، أو محطة أساسية في البحث، ذلك أن توضيح الاشكالية يعطي البحث، البناء النظري الأساسي الذي يشيد عليه نمط التحليل، وتصاغ بمصلحته الفرضيات. لذلك يجب عرضها بوضوح، وبقدر وضوح الاشكالية، يكون الجزء النظري الذي يسبق ويبرر نوع التحليل والفرضيات واضحاً وعميقاً ويمكن بالتالي التحقق من مصداقيته.

إن طرح الأسئلة التالية يساعد على بناء الاشكالية:

-ما هي مختلف المقاربات التي استخلصت بالنسبة لموضوع البحث؟

-ما هي التفاسير المختلفة التي نتجت عن المقاربات؟

-ما هي نقاط الاختلاف والاتفاق التي ظهرت ما بين الأطر النظرية المكتشفة في القراءات والمقاربات.

-على ضوء ما سبق، أي منحى نختاره كإشكالية لتحسين معرفتنا حول الموضوع المدروس؟

-ما هي المفاهيم النظرية لهذا المنحى الذي اخترناه؟ وكيف جرى تناولها في الأبحاث السابقة؟ وبماذا تتميز الاشكالية الخاصة بالبحث عما سبقها من اشكاليات؟

أمثلة تطبيقية:

١-لنفترض أن بحثاً حول الطائفية في سلوك الشباب توصل الى أن "النظام اللبناني يساهم في انتاج السلوكيات الطائفية ويساعد على تقنينها في أطر اجتماعية محددة" فما هي الاشكالية المتضمنة في هذا البحث؟ وما هي الاشكالية التي تعتبر الأساس النظري الذي يقام عليه البحث؟

في الإجابة: يفترض الباحث أن السلوكيات الطائفية للشباب هي انتاج النظام اللبناني. لكن الاشكالية تفرض نفسها حين يطرح للنقاش مصادر هذا النظام وقدرته على اعادة انتاج نفسه وطبيعة الثقافة التقليدية التي يعتاش عليها، فتغذيه من جهة، ويغذّيها من جهة ثانية، وهذا ما يسهم في تصليب بنية هذا النظام. الأساس النظري يتصل في هذا المثل بطبيعة الثقافة التقليدية المستمدة من النظام الأبوي والذي يقف في مواجهة النظام المدني الديموقراطي الحديث. وهكذا يفتح الباحث آفاقاً نظرية للموضوع.

٢-لنفترض أن بحثاً سوسيولوجياً حول الانتاج الثقافي توصل الى أن طبيعة هذا الإنتاج يغلب عليه التأليف النظري والأدبي والديني. فما هي الاشكالية المتضمنة في هذه

النتيجة؟ وما هو الأساس النظري الذي يقوم عليه البحث؟

في الإجابة يمكن القول أن الانتاج الثقافي لمجتمع ما، كأي إنتاج آخر، هو انعكاس لما يجري في البنية التحتية، وبمعنى آخر هو انعكاس لطبيعة المجتمع ولواقع العلاقات السائدة فيه، بل هو انعكاس لتطور هذا المجتمع في الحقل الثقافي، وهو حقل شديد الرمزية، وشديد التأثر بالواقع الاجتماعي، بل هو نتاج له. الأساس النظري يتصل في هذا المثال بطبيعة المجتمع التقليدي والثقافة السائدة فيه والتي تقوم على تقديس واحترام الموروث والمنقول، وتفضيل البيّنة النقلية على الدليل العقلي.

٣-لنفترض أن بحثاً سوسيولوجياً حول دخول الحداثة وتقنياتها الى المجتمع الريفي التقليدي، قد توصل الى كشف التساكن بين التقليدي والحديث في مجتمعاتنا الريفية؟ ما هي الاشكالية وما هو الأساس النظري الذي قام عليه البحث؟

في الإجابة: نلاحظ أن الثنائية المجتمعية هي الاشكالية في هذا المثل. فهناك حداثة وهناك مجتمع ريفي تقليدي، الأول يتمثل بتقنيات وأدوات بدأت تغزو بعض الريف، والثاني يتمثل بعلاقات موروثة وعادات وتقاليد راسخة. اذن نحن سنكون أمام سلوكيات متعارضة لأنها سلوكيات قادمة من مراجع ثقافية مختلفة، الأول "تقليدي" والثاني "مدني حديث". هذه الاشكالية تفتح المجال لبروز اشكالية أخرى، ترى مجتمعاً واحداً، وطبيعة تركيب مجتمعية بنيوية واحدة، لكنها تتميز بأن التقليدي يدخل في الحديث، والحديث يتداخل مع التقليدي، مما يؤدي الىمقاربة جديدة تؤدي الى فهم مختلف للموضوع نفسه.

الفرضيات: يستهدف البحث العلمي الوصول الى نظريات وقوانين، تملك قدرة تفسيرية كاملة للظاهرة، يمكن تعميمها بشكل معقول ومنطقي. إذن فإن نتائج أي بحث

تقاس بمدى تقديمه تفسيرات وتعليلات لظواهر كان يخيم عليها الغموض والشك قبل دراستها، وهي ما يطلق عليه استنتاجات وتعميمات.

الفرضية هي التفسير الأولي، وأصل الكلمة في الانكليزية: Hypothesis وهي مكونة من مقطعين (Hypo) ومعناها ''شيء أقل من'' أو أقل ثقة من الأطروحة (thesis) أي أنها جواب افتراضي مبدئي، مقترح ومؤقت، لتفسير ظاهر أو واقعة اجتماعية ما، وهي جواب أو تفسير مستمد من تأمل أو دراسة هذه الظاهرة بهدف معرفة أسبابها وترابطاتها.

الفرضية إذن هي احتمالية، مشكوك بها تحتاج الى اختبار لاثباتها، فالقطعي والثابت لا داعي لصياغته كفرضية احتمالية الحدوث أو الوقوع، شرط الفرضية، أنها قد تصدق وقد لا تصدق. لكنها لا يجب أن تكون خيالية، خالية من أية درجة من درجات الصحة، إنها نتيجة ملاحظة (Observation) علمية ومشاهدات وتجارب مرّ بها الباحث، أنها تأتي نتيجة معطيات لم تثبت صحتها نهائياً. إذن هي ليست تخميناً نظرياً أو خيالياً، انها تقدير مبني على الملاحظة العلمية والتجارب والمشاهدات والدراسة والمعرفة بينما التخمين estimate لا يتعدى مجرد أفكار مبدئية، تتولد في عقل الفرد عن طريق الملاحظة البسيطة العابرة.

قد تبدأ الفرضية بعملية تخمين، ولا ضير بذلك، يتخذها الباحث كمرشد للمزيد من البيانات والمعطيات قبل صياغة الفرضية بصورتها النهائية.

توضع الفروض عندما يكون هناك إشكالية. فالفرضية هي التفسير، والاشكالية هي حقل الفهم الذي ينتج هذا التفسير. وما يؤدي الى اختلاف الاشكاليات، أو الفرضيات، وتباينها عند الباحثين، هو الاختلاف الأصلي بينهم، في الحقل الذي يدور الفهم داخل حدوده (الاشكالية) وفي التفسير الناتج عن هذا الحقل (١).

١- عبد الله ابراهيم: المرجع السابق، ص ١٥١.

أهمية الفروض بكونها تلعب دور المرشد، والخيط المنظم للبحث، كدور الخيط في المسبحة، بدونه تصبح الحبات متناثرة. وحدة البحث البنائية لا تظهر ما لم تكن له فروض، وبدونها يكون الباحث مشتت الأفكار والمعلومات، غير قادر على الاستفادة من المعطيات المتراكمة.

أهمية الفروض إذن، تتمثل بأنها:

-القاعدة الاساسية لتحديد أبعادا لبحث في عملية التفسير والتحليل للباحث.

-انها تعبر عن وضوح البحث في ذهن الباحث.

-تشكل وحدة البحث وتعكس ترابطه العلمي والمنطقي وعدم تشتته وتبعثر عناصره.

-تبين اتجاهات البحث والباحث.

-تربط المعطيات والمقترحات بالنتائج.

-تستوعب فلسفة البحث وتحقق اهدافه.

من الفروض إذن تولد البحوث، عبر الملاحظة العلمية والتأمل والتفكير، ومن البحوث، الوصفية والاستطلاعية والمسحية، تستنبط الفروض، مما يعكس علاقة متبادلة، يصبح فيها كل بحث جديد قديماً بعد إكتماله وطرحه، مما يجعل بحوثاً أخرى تستند عليه لاستكمال جوانب أخرى تتعلق به، أو تدحض جوانب منه.

وهناك صيغتان للفروض:

أ-صيغة الاثبات: ومن خلالها يتم اثبات وجود علاقة موجبة أوسالبة بين المتغيرات الرئيسية في البحث. كالفرضية التي تقول بوجود "علاقة قوية وايجابية بين الادارة والانتاج".

ب-صيغة النفي: ومن خلالها تصاغ الفرضية بأسلوب لا يثبت وجود علاقة، سالبه أو موجيه، بل ينفي وجودها على الاطلاق بين المتغيرين الرئيسيين في البحث. مثل "لا

توجد علاقة بين أسلوب الادارة الذاتية وأسلوب الادارة الحكومية''.

ج-صيغة الفرضية المشروطة: وهي تصاغ على أساس العلاقة بين متغيرين قد يأخذ الواحد قيمتين (ذكر/أنثى) مثال: ''كلما ارتفع المستوى الثقافي تحسن المستوى الصحي'' المتغيران (صحي/ ثقافي) والفرضية اشتراطية فإذا ثبت هذا الشرط كان الفرض صادقاً. وإذ لم يثبت تحسن المستوى الصحي بسبب ارتفاع المستوى الثقافي، يكون الفرض خاطئاً. مثال آخر: ''كلما ارتفع مستوى الدخل إرتفع مستوى التعليم'' هذا الفرض أيضاً اشتراطي بين متغيرين (دخل وتعليم). أو ''كلما قلّ دخل الرجل، قلّت فرص العمل أمام المرأة'' هذه فرضية ثبت أ،نها غير صادقة، ولا يعني هذا أن البحث لا قيمة له، بل على العكس، فمنه ولدت فرضية معاكسة. البحث الميداني في الخلاصة، هو الفيصل، فالفروض بالنتيجة لا تتضح إلا بإكتمال الاطار النظري للبحث.

-شروط الفروض العلمية:

-ألا تكون متعارضة مع القوانين الطبيعية والمسلمات البديهية.

-أن تكون قابلة للاثبات من خلال تقصّي معطياتها وتفاسيرها ونتائجها وألا تكون خيالية غير قابلة للقياس.

-أن تكون واضحة المدلول واللغة، لا لبس فيها ولا غموض.

-أن تصاغ بإيجاز وتكون لها دلالة، بدون حشو ولا تعابير زائدة.

-أن ترتبط بما سبقها من معارف، سواء لاثباتها أو نفيها، وعرض الجديد البديل عنها.

-ألا تكون الفروض متناقضة.

-يفضل ألا يقتصر البحث الاجتماعي على فرض واحد، فكلما كان الباحث أمام

عدد من الفروض، كان أمام عدد من الخيارات والأبعاد تسهم في مقاربة أشمل للبحث.

لقد أصبحت الفرضية في البحث العلمي عموماً من بـــديهيات العلم، وفي العلوم الانسانية والاجتماعية حسمت الأمور منذ البدء لمصلحة الفرضية كمحطة منهجية أولى يبدأ بها البحث الاجتماعي. ولا نقاش اليوم حول ضرورتها ومغزاها ومعناها ودورها. وكثيراً ما يتساءل البعض حول وجود الاشكالية أو الفرضية في هذا البحـــث أو ذاك، ومبرر هذا الوجود، متناسين أنها بداهة من بداهات كل بحث متساوقه معه، مترافقة مع عناصره ومعطياته، ولا يهم اذا ما كان البحث يتطلب الاعلان عنها أو لا يتطلب ذلك، حسب نوع البحث الاجتماعي، فالتفتيش عن الاشكالية أو الفرضية بين فقرات البحث وسطوره أمر لا معنى له في بعض الأحيان، وليس بالضرورة أن يجدهما من يبحث عنهما في فقرات أو سطور ذلك أنهما حـــاضرتان في كل تفاصيل البحـــث وفي كل فكره من أفكاره (١).

ولما كانت الفرضية هي المنطلق الاساسي للتجريب، فعلى الباحـــث أن يعبر عنها بشكل قابل للملاحظة. وهذا يعني الاستدلال من خلالها، مباشرة أو غير مباشرة، على نمط المعلومات التي يجب جمعها، والعلاقات التي يجب توقـــعها ورصدها ما بـــين هذه المعطيات، حتى يستطيع الباحث أن يعرف الى أي مدى يمكن أن تثبت مصداقـــيتها في الوقائع. وهذه المواجهة مابين الفرضية والواقع تسمى التحقق الامبيريقي Empirical verification وعملية التحقق تتطلب بناء المؤشرات وتحديدها بدقة كي يمكن قياسها. فمفهوم الشيخوخة مثلاً لا يملك من بعد أو مستوى إلا الزمن، ومؤشره السن، وكذلك الطفولة.

أما المتغيرات فهي تختلف تبعاً لأوضاعها في البحـــث فهي تارة كمية، عندما تكون

---

١ - عبد الله ابراهيم: المرجع السابق، ص ١٥٢

قادرة على اعطاء قيمة عددية ما للوحـــدات (مثل العمر والراتب والمصاريف..) كما يمكن أن تكون تراتبية عندما تسمح بإعطاء الفرد درجة معينة على سلم من الرتب. كما قد تكون نوعية عندما تعطي اتجاها ما للعناصر التي يهتم الباحث بدراســتها. هذا من حيث طبيعة المتغيرات، أما من حيث وظيفتها فهي تنقسم الى قسمين:

-المتغيرات المستقـــلة Independent Variables وتســـمى أيضاً المفســـــرة Explicatives أو الأسمية Nominales وهي عبارة عن حالات أو أوضاع لا علاقة فيما بين بعضها البـــعض. وهي إما ثنائية (مثل رجل، امراة) أو متعددة مثل: (عازب، متزوج، مطلق، أرمل).

– المتغيرات التابـــعة Dependent Variables وهي التي تعطي الصفة للمتغيرات المستقلة، وهي التي تشـــرح وتتغير من فرد الى آخر، لذلك ســـــميت أيضاً بالمتغيرات الشارحـــة Expliquées لأنها تظهر دور الفرد ومركزه ضمن الأوضاع الاجتماعية المتعددة.

وفي أي بحث يمكن أن توجد عدة متغيرات مستقلة أو تابعة، كما أن المتغيرات يمكن أن تتخذ أوضاعاً نوعية أو كمية أو تراتبـــية وذلك حســـب ما نعرفه من حـــــالاتها. والمتغيرات التي تحتوي عليها الفرضية يجب تحديدها بوضوح كي تتم عمليـــــة القياس والتحقق. فالفرضية عـــــــــادة تربط ما بين متغيرين أو أكثـــــر بعلاقات سببية. وكل متغير مستقل يتميز كلياً بـــوصف كل ما يلحقـــه من متغيرات. كما يتميز المتغير التابع بتحـــديد طرق القـــياس التي هي عديدة ومتنوعة. فإذا كانت الفرضية ''يرتفع مستوى التعليم كلما ارتفع مستوى الدخل'' فمستوى التعليم متغير مستقل، والدخل متغير تابع، أو في فرضية أخرى: ''كلما ارتفع المستوى الثقافي تحسن المستوى الصحي'' المستوى الثقافي (متغير مستقل) والمستوى الصحي (متغير تابع) فالمستوى الثقـــافي يؤثر

فيما يلحقه من متغيرات منها على سبيل المثال المستوى الصحي الذي يمكن قياسه في المجتمع بطرق متعددة.

بعد اختيار موضوع البحث وتحديده بدقة وصياغة الاشكالية والفرضيات وتحديد المتغيرات والمؤشرات يكون البحث قداجتاز محطة مهمة بإتجاه الوضوح، يمكن بعدها للباحث أن يبني تصميم الموضوع في صورته الأولية. وبعدها يمكنه تحديد العينة واختيار أدوات البحث المناسبة والتقنيات اللازمة وبناء الاستمارة، ولكن قبل الدخول في هذه المرحلة لا بد من انجاز القسم النظري الذي يفرض تأصيل المفاهيم المستخدمة وتحديدها، و بناء الاطار النظري للموضوع واستعراض ونقد المقاربات المتنوعة السابقة للموضوع. في هذه المرحلة تتم عملية بناء فكري ومفاهيمي للموضوع حيث يتم وضعه في سياق الاشكالية التي يدور حولها البحث. وهذه المرحلة هي استكمال للاستكشاف الأولي الذي تم للموضوع حين تمت صياغة الاشكالية، لكنه استكمال لا يتخذ صفة الاستطلاع، بل صفة المقاربة النقدية، وهي تتطلب ما يعرف بمرحلة ''التوثيق'' والتي تتضمن التقميش والاقتباس.

التوثيق والتقميش:

وهو مصطلح شائع ويعني مرحلة جمع مواد البحث النظرية، أو هيئة المواد الخام للبناء النظري للموضوع.ان القدرة على القيام ببحث ليست مسألة سهلة يمكن لأي كان القيام بها، بل هي ممارسة واعداد نظري وثقافة فكرية، فالاطلاع على ما سبق من أعمال في حقل اختصاص البحث يساهم في اتساع الفكر، ويمنح الدارس قدرة على مقاربة المسائل، ويمنحه أيضاً قدرة على أعمال الفكر والنقد أثناء عملية تقصي الحقائق. قد يكون البحث جديداً لم يطرق موضوعه من قبل، لكن من دون شك هناك

مواضيع قريبة منه، أو بعض من موضوعه قد جرى البحث فيه، والنظر في هذه الابحاث يزود الباحـــث، ولو بقـــــدر ضئيل بما يكفي من المعارف المرجعية التي يزخر بها علم الاجتماع، والتي تتوفر بكثرة في المكتبات.

والقراءة المكثفة حول الموضوع وما يتصل به لا تعني حشو الفكر بالضروري وغير الضروري من المطالعات. بل يجب الاختيار بدقة لأهم المراجع والمصادر، وان يتم قراءتها بترتيب وتركيز، وعن طريقها يتم اختيار مقاطع تمثل مقاربة مختلفة للظاهرة المدروسة. وعند الحصول على فكرة مفيدة، يجب أعمال الفكر فيها، والتوقف عندها قليلاً للتحليل والنقد، علّ ذلك يصحح توجهات وينير الطريق لقراءات جديدة حول الموضوع.

هذه القراءات تزود الباحث بالمعلومات من الأبحاث التي سبقـــت موضوع بحثه، وتساعده على تحديد موقع ما يقوم به بالنسبة لما سبق، وتحضره من أجل القيام بمقاربـــة جديدة في تناول الموضوع، ولكي تقـــوم هذه القـــراءات بهذا الدور يجب أن تتم وفق المواصفات التالية:

-ان يختار الباحث المؤلفات التي هي على علاقة بالسؤال المبدئي.

-أن تتناسب القراءات وحجم البحث الذي ينوي القيام به.

-الابتداء من العام الى الخاص.

-التزود بآراء الآخرين من اساتذة واختصاصيين بالنسبة لاختيار الكتب وما يشـــيرون عليه من عناصر للشرح والتحليل.

-الاطلاع على القـــوائم المرجعية والببـــليوغرافية التي تصدر بها نشـــرات أو تتوفر في المكتبات.

-تخصيص وقت ما للتفكير بما حصل عليه أو لتبادل الآراء حوله مع الغير.

-استعمال نظام المبطقات التي تختصر الاعمال بدقـــة ونظام، بحيث يســـتخلص منها

الأفكار الرئيسية والفرعية ويعمل على مقارنتها بغيرها.

-اعتماد المقابلات الاستكشافية إذا لم تسمح القراءات بتحديد وابراز عناصر سؤاله المبدئي. والمقابلة لا تفي بالغرض إلا إذا كانت تزود الباحث بأفكار جديدة. وتفريغ محتوى المقابلة قد يؤدي الى استخدام مباشر للمعلومات والى إبراز حقائق أعمق مما يظهر للتو من أفكارها.

-وقد يضطر الباحث في هذه المرحلة الى الاستعانة بتقنيات مكملة كالملاحظة وتحليل الوثائق(١).

على ضوء هذه المرحلة يتكون لدى الباحث آفاق جديدة قد تؤدي الى تعديل صياغة تساؤلاته على ضوء ما تجمع لديه من معلومات، وهي في مجملها لن تذهب هدراً، بل سوف تساعده على تدقيق فرضياته ومؤشراته وطريقة جمع المعلومات وكيفية تحليلها واستخدامها في سياق البحث.

كيفية تدوين المعلومات أثناء عملية التقميش؟ لتدوين المعلومات هناك نظامان:

أ-نظام الملف أو الدوسية (Dossier) ويمكن استخدام دفاتر عادية أو مجموعة من الورق. المهم أن يقسم الباحث أوراق الملف وفق خطة بحثه. فيخصص لكل جزء من هذه الخطة جزءاً من الأوراق. وتوضع ورقة سميكة ذات لسان بارز بين كل قسمين، يكتب عليها عنوان الفصل، وذلك كي يسهل فتح الملف على الفصل المطلوب. وكلما عثر الباحث على معلومة تتعلق بموضوع بحثه يسجلها بتلخيص دقيق اذا كانت كبيرة، أو ينقلها حرفياً اذا وجد ضرورة لذلك، في الأوراق المخصصة للفصل داخل الملف. وهكذا تتجمع المعلومات بشكل متراكم ضمن حزمة الأوراق المخصصة لكل فصل من الفصول.

١- صابر بو ضرغم: المرجع السابق، ص ٤٢.

ب-نظام البطاقـــات (Cards Fiches) وهي عبـــارة عن حـــزمة من الأوراق السمكية المتساوية الحجم، ويوجد منها عدة مقاييس. وعلى كل ورقة من هذه نكتب عنوان المعلومة في الأعلى، ثم نلخص أو نقتبس المعلومة، ثم في أسفل الورقة نكتب اســـم المرجع والمؤلف والصفحة وتاريخ الطبع ودار النشر. ويكون تصميم البطاقة كالتالي:

عنوان المعلومة أو النص
"..
النص المقتبس
...."
اسم المرجع مع اسم المؤلف

ليس هناك اتفاق بين الباحثين حول أفضلية أي من الأسلوبين لكن ينصح في البحـــوث الطويلة بنظام البطاقات. ولكي يأتي نظام البطاقات بالفائدة المرجوة منه يجب التقيد بما يلي:

-استخدم البطاقات ذات اللون الواحد والحجم الواحد، مع فصلها الى مجموعات مقابلة لفصول البحث.

-يكتب على صفحة واحدة من البطاقات، ويترك خلفها فارغاً.

-اذا تعددت المصادر لمعلومة واحـــدة تجعل لها عدة بطاقـــات ونضعها متتالية مع تكرار العنوان.

-ترتب البطاقات حسب عناوينها وحسب الفصول التي تشـــتملها لا حســـب مصادرها ومراجعها.

-يجب أن تكون الكتابة بخط واضح، ويفضل أن تكون العناوين بحبر مختلف.

-نقل الخبر أو النص كاملاً، لا كتابة ملخص مكثف له. الا إذا كان الكتاب الذي يحوي الخبر أو النص ملكاً للباحث ويسهل الرجوع اليه.

-أما كيفية تدوين المصادر والمراجع فلها نظام سوف نشير اليه لاحقاً.

والنصوص التي يتم نقلها من المراجع واستخدامها من قبل الباحث تخضع لقواعد وأصول. وتسمى هذه العملية ''الاقتباس'' وهي علمياً تتم لاثبات رأي الآخرين لمناقشته، أو لتعزيز رأي الباحث، أو لنقل خبر أو معلومة مهمة وموثقة من مصدر يعتبر حجة في ميدانه.

في عملية الاقتباس يجب أن تكون المصادر التي نقتبس منها أصيلة في موضوع البحث، وأن يكون مؤلفوها ممن يعتمد عليهم ويوثق بهم، مع الحرص أيضاً على حسن الانسجام بين ما اقتبس، وما قبله وما بعده، حفاظاً على وحدة السياق.

والاقتباس نوعان، إما أن يكون حرفياً وفي هذه الحالة يجب وضعه بين مزدوجين أو شولتين ''..........'' وإما أن يكون غير حرفي، أي ينقل معنى النص العام أو ملخصه. وعند ذلك لا يستخدم المزدوجان. وفي كلا الحالتين لا بد من ترقيم الإقتباس، مع كتابة رقم يماثله في الهامش، ثم تدوين المصدر أو المرجع وفق الأصول.

ويفضل ألا يكون الاقتباس حرفياً إذا كان ما يراد اقتباسه كبيراً يتجاوز الصفحة، فالمفضل في هذه الحالة أن يلجأ الى تلخيصه وصياغته بإسلوب الباحث. تجدر الإشارة الى أن كثرة الاقتباسات تقلل من قيمة البحث لأنها تحول البحث الى سلسلة متتالية من الاقتباسات، تغيّب شخصية الباحث وقدراته واسلوبه.

والحذف في الاقتباس الحرفي جائز، شرط عدم تشويه المعنى، وجعل ثلاث نقاط أفقية (...) مكان الكلمات أو الجمل المحذوفة. وفي حالة اضطرار الباحث الى زيادة حرف أو كلمة الى النص المقتبس، لاتمام جملة، أو لشرح كلمة، يجب وضع ما يزيده بين

قوسين مركنين (أو معكفين) [ ].

واذا وجد الباحث أن هناك خطأ لغوياً، أو معنوياً، أو غيره، فيما يقتبسه حـــرفياً، عليه أن يكتب كلمة <كذا> بعد الخطأ مباشرة، أو يشير الى الصواب في الحاشية. وفي جميع الحالات، لا يجوز اقتباس نص قديم مثبت في مرجع حديث، أو نص لمؤلف اقتبسه مؤلف آخر وأثبته في مؤلفه، إلا بعد التحقق من صحته. فإن لم يستطع الباحث القـــيام بذلك أثبت النص على مســـؤولية المرجع، على أن يشـــير الى ذلك، أمانة في البحـــث واعترافاً بفضل المرجع، ودفعاً للمسؤولية(١).

بعد أن ينتهي الباحث من غالبية القراءات المتوجبة للمراجع والمؤلفات الضرورية، وبعد أن يقوم بعملية الاقتبـــاس اللازمة، يبـــدأ بـــوضع خلاصات النصوص المختارة ومقارنتها لاستخلاص الافكار منها وتبيان الفروقات بـــينها. هذه العملية ضرورية في دراسة الظاهرات الاجتماعية. فمسألة البطالة مثلاً، يمكن دراستها تاريخياً أو من خلال مقاربة اقتصادية أ اجتماعية. وحتى داخل ميدان علم واحد يمكن دراستها اجتماعياً من جوانب متعددة من طريق اظهار موقع العاطل عن العمل في المجتمع أو علاقـــة البـــطالة بالنسبة لاستقرار الأسرة. ما يهم الباحث في وجهات النظر، التركيز على الرأي المتبـــنى وعلى محتواه، فيستطيع بذلك تبين تلاقي الأفكار أو اختلافها أو تكاملها، واظهار حجة كل مؤلف في تأييد وجهة نظره إذا ما كانت مختلفة، والهدف من مقـــــارنة النصوص اختيار أكثرها ملاءمة. وقد يضطر الباحث مراراً الى عدم الاكتفاء بالنصوص التي اطلع عليها والتفتيش عن وثائق جديدة أو مصادر إضافية تتناول بـــعمق جوانب أخرى من موضوع البحث، لم يجر التطرق اليها في النصوص الأولى. وعلى الباحث ألا يبخل من أجل ذلك، لا بالوقت ولا بالجهد، والاســـتعانة بتقـــنيات تحليل المحتوى التي تهدف الى

١- اميل يعقوب: المرجع السابق، ص ٦٢-٦٣.

استخلاص المعطيات من الوثائق والمجلات والمقابلات وغيرها، فيصار الى استنتاج المفيد وإعادة تبويبه بما يتيح المقارنة واظهار المفارقات والاتفاقات بالنسبة لموضوع ما.

اختيار الكتب والمراجع:

تحتوي المكتبات، وخصوصاً المكتبات الجامعية والكبيرة، على مواد تشتمل الكتب والموسوعات والقواميس والاطالس والدرويات بالاضافة الى الوثائق والمواد السمعية والبصرية والأفلام والميكروفيلم... والاختيار الحكيم للباحث هو من الخطوات الهامة في مرحلة البناء النظري للبحث السوسيولوجي، اذ ان هذا الاختيار يتصل اتصالاً مباشراً بخدمة البحوث والتعليم والترويح في حدود الامكانيات المتاحة للمكتبات.

وفي ظل انفجار المعلومات أصبح من المستحيل اليوم ان تحصل اي مكتبة مهما كبر حجمها وامكانياها على جميع ما ينشر في العالم، لذلك أصبح اختيار الكتب والمواد المخصصة للحفظ في المكتبات مهمة صعبة يقوم بها اختصاصيون على درجة عالية من الكفاءة، وهو الأمر الذي ينطبق ايضاً على تنظيم المكتبات وترتيب الكتب والمنشورات التي تحتويها. لقد أصبحت بعض برامج الكمبيوتر ومواقع الانترنت المتخصصة مرجعاً لا غنى عنه بالنسبة للباحثين، ومع ذلك لا تزال طرق جمع المعلومات من المكتبات معتمدة بشكل واسع، وهي تستخدم أدوات شائعة مثل:

- كاتالوجات الناشرين.
- الدوريات الكشفية التي تحتوي على مستخلص لأبحاث وكتب منشورة.
- الببليوغرافيات العامة والمتنوعة.
- الموسوعات المتنوعة، والقواميس والأطالس العالمية.
- كشافات الدوريات المتخصصة والسنوية التي تهتم بها الكلية او الجامعة او

المؤسسة المتخصصة.

ويتم التصنيف في المكتبات وفق طرق متعددة أشـــهرها، تصنيف ديوي Dewey العشري، وهو نظام عالمي يقسّم الكتب في مجالات رئيسية عشرة تبدأ بالاصفار وتنتهي بالتسعمائيات، كل مجال من هذه المجالات يقسم بدوره الى عشرة أقسام وكل قسم الى عشرة فروع وهكذا. والمجالات الرئيسية لنظام التصنيف بالنسبـــة لنظام ديوي المعدل والذي بموجبه تصنف الكتب العربية، هو على الشكل التالي:

٠٠٠ الأعمال العامة

١٠٠ الفلسفة

٢٠٠ الديانات

٣٠٠ العلوم الاجتماعية

٤٠٠ اللغات

٥٠٠ العلوم البحتة

٦٠٠ العلوم التطبيقية

٧٠٠ الفنون

٨٠٠ الآداب

٩٠٠ التاريخ

وكل مجال من هذه المجالات ينقسم بدوره الى عناوين اصبحت شـــائعة ومتعارف عليها عالمياً، فمثلاً:

٣٠٠	العلوم الاجتماعية	The Social sciences
٣١٠	الاحصاء	Statistical method and statistics
٣٢٠	السياسة	Political sciences

٣٣٠	الاقتصاد	Economics
٣٤٠	القانون	Law
٣٥٠	الادارة العامة	Public administration
٣٦٠	الانعاش الاجتماعي	Welfare and association
٣٧٠	التربية	Education
٣٨٠	التجارة	Commerce
٣٩٠	العادات، الفلكلور	Customs and folklore

يتم ترتيب الكتب على الرفوف طبقاً لارقـام التصنيف، ثم حسب الأحرف الموجودة تحت رقم التصنيف، وهي عادة حرفان: الحرف الأول من اسم المؤلف ثم الحرف الأول من عنوان الكتاب. والكتاب الذي له اكثر من مؤلف واحد يكون له أكثر من بطاقة واحدة، حسب عدد المؤلفين او الجهة المؤلفة، كذلك الكتاب الذي يتناول اكثر من موضوع يكون له اكثر من بطاقة واحدة لتغطية هذه الموضوعات. اما البطاقات والفهارس في المكتبات فتنظم على الشكل التالي:

نموذج بطاقة الفهرسة والمسافات والفواصل المطابقة للقواعد.

١ــــ ٢ــــ
٣ــــــــــــ
٤ــــ . ٥ــــ . ٦ــــ .
٧ــــ .
٨ــــ ٩ــــ ١٠ــــ. (ــــ١١ــــ)
١٢ــــــــــــ
١- ــــ١٣ــــ أ ــــ١٤ــــ ب ــــ١٥ــــ

وشرحها حسب الأرقام الواردة كما يلي:

١-رقم الكتاب ويشمل رقم التصنيف + الحرف الأول من كل من المؤلف والعنوان.

٢-المدخل (المؤلف او ما يقوم مقامه)

٣-العنوان

٤-الطبعة اذا كانت غير الأولى

٥-مكان النشر

٦-الناشر

٧-تاريخ النشر

٨-الترقيم (الصفحات والمجلدات)

٩-المادة التوضيحية (الرسوم والخرائط والبيانات الأحصائية).

١٠-حجم الكتاب (طوله بالسنتيمتر)

١١-بيان السلسلة.

١٢-ملاحظات الفحوى (المحتويات).

١٣-رؤوس الموضوعات.

نموذج تطبيقي للبطاقة

٣٢٠
ع.ث عبد الغني عماد
ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية.
بيروت. دار الطليعة. ٢٠٠١
٢٠٨ ص. ١٣سم
١-التوراة ٢-التلمود ٣-الصهيونية ٤-سيكولوجية العنف
٥-تعذيب المعتقلين ٦-الترانسفير ٧-ما بعد الصهيونية
٢٧٢٤

ويتم ترتيب بطاقات الفهارس طبقاً لأسماء المؤلفين او طبقاً لعناوين الموضوعات، وترتب تبعاً للحرف التالي لأداة التعريف.

يجب التمييز بين الكتب ، فليست كلها مراجع علمية يعتدّ بها. فهناك كتب للتسلية او لعرض معلومات محددة، كالرواية والقصة والكتاب العادي الذي يتناول موضوعاً محدداً. وهناك الكتب التي يرجع اليها بقصد الحصول على معلومات او حقائق محددة وهذه هي "المراجع"، مثل القواميس اللغوية والموسوعات وغيرها... فما يحتويه القاموس من معلومات مثلاً ليست مترابطة فيما بينها للقراءة المستمرة كالكتاب العادي. والمراجع References بهذا المعنى، يفضل البعض تسميتها بـ "المصادر". في كل الأحوال هي عادة ما تكون مرتبة بطريقة تسمح بالحصول على المعلومات المحددة والحقائق في سهولة ويسر. لذلك تنظم وترتب وفق طرق تحقق هذا الهدف، ومن اهم هذه الطرق:

١-الترتيب الهجائي (القواميس ودوائر المعارف).

٢-الترتيب الزمني (المراجع التاريخية).

٣-الترتيب الجدولي (الذي تتبعه الملخصات الاحصائية).

٤-الترتيب الجغرافي حسب المناطق والاقاليم كما في الاطالس.

٥-الترتيب الموضوعي وهو ما نجده في الببليوغرافيات وغيرها.

هذه الطرق الخمس هي الأكثر شيوعاً، ومع ذلك يوجد هناك كتب ذات طبيعة شاملة وتغلب عليها الدقة والتركيز، كما انها مزودة بالفهارس اللازمة، بحيث يمكن استعمالها كمراجع موثوق بها.

وأفضل طريقة في اختيار وحسن استخدام المراجع هي بممارسة الرجوع اليها واستعمالها بصورة دائمة، بحيث يألف الباحث طبيعتها، وطرق ترتيب المعلومات بها.

ويمكن تقدير الثقة بالمراجع حسب شهرتها و شهرة مؤلفيها ومقدار الثقة باعمالهم، وحسن توثيقــها، ومدى ســعتها لجهة تغطيتها للموضوع، كيفية المعالجة من حــيث الموضوعية والحياد وعدم الانــحياز، واعتماده احدث المعلومات،وكيفية ترتيبها وهو يشمل سلامة تتابع المحتويات واستكمال النصوص بالفهارس والإحــالات وغيرها من مواصفات يصبح الباحث خبيراً بها مع الوقت. ولا بد للباحثين الجدد من الاستفادة من نصائح اساتذهم في هذا المجال. ولا يغيب عن بالنا ان نذكر ان المراجع الحديثة أصبحت تعتمد المعلومات الواردة على المواقــع العالمية المعتبرة في الأنترنت وهو ما يتطلب ذكر عنوان الموقع بدقــة ووضوح، مع التأكيد انه ليس كل المواقــع يمكن الوثوق بمعطياتها وبياناتها، لذلك يجب الاعتماد على مواقع مراكز الأبحاث الشهيرة بمصداقــيتها ودقــة بياناتها.

والمراجع كثيرة ومتنوعة ونذكر اهمها على الشكل التالي:

١-كتب عن الكتب: وهي مراجع تتناول الكتب وتتحــدث عنها وتعرف بها، ومنها فهارس المكتبات والببليوغرافيات، وهي تقدم عرضاً شاملاً للمطبوعات التي ظهرت في كثير من نواحي المعرفة، كما تقــدم معلومات عما تحتويه هذه المطبــوعات من مواد. والببليوغرافيات علم يتناول تصنيف الكتب، وهي يمكن ان تكون ببليوغرافيات وصفية او تحليلية، تعمد الى تجميع ومتابعة كل ما ظهر من مواد في مواضيع معينة. وقــد يكون التجميع رجعياً Retrospective ، اي يشــــمل كل ما صدر في الماضي، او جارياً Current(حديثاً)، ويمكن للترتيب الببليوغرافي ان يعتمد الترتيب الهجائي (للموضوع او المؤلف) وقد يكون تاريخياً Chronoligacl او منهجياً Systematic.

٢-الدوريات: ويمكن تعريف الدورية بأنها مطبوعة تصدر في حلقات متعاقبــة وعلى فترات منتظمة او غير منتظمة، وهي تكسب اهميتها من أنها تنشــر آخر ما وصلت اليه

البحوث في فروع العلم المختلفة وحسب اختصاص الدورية.

٣- كتب عن الكلمات: وتشمل القواميس والمعاجم اللغوية بمختلف انواعها.

٤- كتب عن الأماكن : وتشمل المراجع الجغرافية ومن أهمها الاطالس والقواميس الجغرافية (معاجم البلدان).

٥- كتب عن الناس : وتشمل تراجم وسير الأشخاص، وهي عادة مراجع أعدت خصيصاً لتقدم معلومات عن شخصيات معينة.

٦-الموسوعات ودوائر المعارف: وهي تهتم بتغطية جميع الموضوعات بصفة عامة، لذلك هي أصلح أنواع المراجع للتثقيف الذاتي. وتشمل نوعين رئيسيين:

أ - الموسوعات ودوائر المعارف (Encyclopedias) وهي مراجع تضم مقالات موجزة او طويلة في شتى الموضوعات، وهي عادة ما تعطي معلومات عامة عن هذه الموضوعات، وتكون مرتبة هجائياً في أغلب الأحيان.

ب - الحوليات والكتب السنوية وهي مراجع متتالية تصدر كل عام، وتحتوي على قدر كبير من المعلومات التي تتعلق بالأحداث الجارية او القريبة التي تحدث خلال عام واحد في شكل مختصر.

٧-الكتب التاريخية وتشمل المراجع التي تتناول الاحداث التاريخية بشكل عام، وعادة ما تكون مرتبة ترتيباً زمنياً حسب تسلسل الاحداث، او تعالج مراحل محددة.

٨-مراجع الموضوعات المتخصصة، وتشمل مراجع موضوعات مختلفة من المعرفة الانسانية وهي كثيرة ومتعددة، مثل (مراجع الفلسفة، علم النفس، علم الاجتماع، الديانات...)

ان اختيار المراجع المناسبة للبحث، واجراء عملية حصر لها، ثم التنقيب فيها عن احدث ما ورد حول الظاهرة المدروسة، عمل لا بد منه، هو يعتبر في صميم المرحلة

التوثيقية، وبقدر ما ينجح الباحث في توسيع دائرة اطلاعه يستطيع أن يقـــدم بحثاً مميزاً ونافعاً.

الفصل الثالث

أطر جمع المعطيات وتقنياتها

تهيء هذه المرحلة البحث للأنتقال الى الحقل الميداني، وهي محطة مهمة إذ من خلالها نتمكن من جني وجمع المعطيات. وتقنيات تقصّي المعلومات وجمعها عديدة ومتنوعة، ولكل بحث ما يناسبه منها، وذلك يعود الى طبيعة الفرضيات التي يسعى البحث الى اثباتها، وما على الباحث الا اختيار التقنيات والأدوات المناسبة. وهو اختيار يجب ان يسبق العمل الميداني، ذلك ان التسلسل المنطقي يقود الى ان اختيار التقنيات والادوات البحثية يعود تقديره الى نوعية المعطيات المراد جمعها، وبالتالي فالاختيار المناسب يوفر أفضل الوسائل التي تساعد على الاستغلال الجيد للمعطيات وتكميمها ودراسة تفاعلاتها. فإذا أردنا معطيات نوعية فيجب ان يصار الى اختيار تقنيات مختلفة عن التقنيات التي تستخدم لجمع المعطيات الكمية. لذلك من الضروري ان يختار الباحث الوسائل المناسبة، واختياره سيكون موفقاً إذا كان متناسباً مع الفرضيات المطروحة في البحث.

وقد يضطر الباحث الى استخدام اكثر من وسيلة لجمع المعلومات، وبالتالي فإن اختيار طريقة ما، لا يعني انها أفضل من غيرها، بقدر ما يعني انها في نظره تناسب بحثه

وتستطيع تزويده بالمعلومات والمعطيات التي يسعى إلى الحصول عليها علماً ان الباحث قد لا يستطيع ان يحكم بدقة على صلاحية هذه الوسيلة او التقنية، إلا بعد تجربتها بنفسه. لذلك من المستحسن أخذ رأي أصحاب الخبرة في هذا المجال.

ومصطلح طريقة لا يجب فهمه هنا بالمعنى الواسع للكلمة، وإنما يقصد به مجمل الادوات التقنية المستعملة وكل العمليات الخاصة لجمع المعلومات Methodological procedures تمهيداً لتكميمها وتحليلها وبالتالي الحكم على مصداقية الفرضيات. وفي هذا المعنى تصبح التقنيات وسائل لطرائق البحث الاجتماعي.

-التحضير العملاني:

هذه المرحلة او المحطة يتم فيها التحضير العملاني لمرحلة البحث الحقلي الميداني. وفيها على الباحث ان يمتلك اجابات واضحة عن ثلاثة اسئلة: ماذا؟ ومن؟ وكيف؟.

فمعرفة ماذا أريد ان اجمع من معطيات ومعلومات لاختبار الفرضيات الخاصة بالبحث، تحدد مجال الاستقصاء والمؤشرات القادرة على خدمة البحث. وهذه المسألة لا تستطيع أية تقنية ان تحددها، بل على الباحث ان يختار ما يناسب البحث، وما يساعده من مفاهيم ومتغيرات. وكلما كانت اشكاليته وفرضياته واضحة ودقيقة، نجح في حصر وتحديد المعطيات اللازمة لبحثه.

اما معرفة من أتوجه اليه لجمع المعطيات فيتطلب حصر الحقل التحليلي ضمن موقع جغرافي واجتماعي محدد بزمن معيّن. في الاجابة على هذا السؤال بدقة اذن يجب تحديد الاطار المكاني او الحقلي للبحث، والاطار الزماني، ثم تحديد المجتمع الاحصائي المعني بموضوع البحث.

اما معرفة كيف يتم جمع المعلومات، فهذه الكيفية مرتبطة بإختيار التقنية الملائمة

للبحث. ومرتبطة بالامكانيات المادية والبشرية المتوافرة لتنفيذ البحث. ويميل الباحث الناشيء عادة الى اختيار حقل بحث شاسع، لكنه بالتجربة يتعلم ان الامكانيات البشرية والمادية تتحكم كثيراً بالاختيار النهائي لحقل البحث والتقنيات الملائمة لجمع المعلومات. فمن يستطيع توفير فريق عمل لجمع المعطيات يمكنه ان يجري بحثه على حقل واسع وان يستخدم اكثر من تقنية. لكن الباحث الذي لا يملك مصاريف الانتقال الى موقع الحقل الميداني للدراسة لن يستطيع بالتأكيد انجاز بحثه ضمن الاطار الزماني المحدد للبحث. لذلك من الضروري ان يضع الباحث في حسابه الكيفية التي سيجمع بها المعطيات والامكانيات التي يجب توفيرها في هذا المجال.

اما كيف يتم الاستقصاء وجمع المعطيات، فذلك يتم عن طريق بناء وسائل قادرة على ابراز المعلومات المطلوبة في المؤشرات التي تم وضعها للاجابة عن الفرضيات. وهي تختلف تبعاً لطريقة الاستقصاء والجمع، فإما ان تكون مباشرة او غير مباشرة. في الاستقصاء المباشر يعمد الباحث بنفسه مباشرة الى جمع المعلومات دون التعرض للافراد المعنيين في البحث وذلك من خلال ملاحظتهم. مثلاً ملاحظة مرتادي المقاهي او المسارح والمعارض، حيث يقوم بتعدادهم وملاحظة أعمارهم وأجناسهم وثيابهم، بالاضافة الى كل المؤشرات التي سبق له ان تصورها وحددها للرصد والملاحظة. اما في حالة الاستقصاء غير المباشر، ففيه يتصل الباحث بالأفراد للحصول على المعلومات عن طريق الاجابة على أسئلة معينة، وبهذا لا تستخلص المعطيات مباشرة، بل عن طريق وسيلة ما. والملاحظة غير المباشرة أقل موضوعية من الملاحظة المباشرة. وذلك لتوفر وسيطين ما بين المعلومات المطلوبة والمعلومات التي يسعى للحصول عليها: الفرد الذي عليه الاجابة والوسيلة التي تجمع بها المعلومات اي الأسئلة. وفي الاستقصاء غير المباشر تكون عادة وسيلة الاتصال إما استمارة او دليل مقابلة، وكلاهما يهدف الى جمع

وتسجيل المعلومات التي تضمنتها مؤشرات الفرضية. (١)

طريقة جمع المعلومات والاستقصاء هي على علاقة مباشرة بوسائل وأدوات جمع المعلومات والتقصّي عنها. الوسيلة اذن ليست اكثر من أداة يختارها الباحث من بين عدّة تقنيات لجمع المعلومات الضرورية ولاختبار فرضية البحث والتحقق من صحتها. والوسائل التي اعتاد الباحثون استخدامها في دراساتهم وبحوثهم عديدة ومتنوعة. الا أن همّ الباحث ينصب على اختيار ما يناسب بحثه. فقيمة أي أداة، كما سبق وذكرنا تتلخص بقدرتها على خدمة البحث وفرضياته بشكل أفضل. فهناك مواضيع تتطلب إسلوب المقابلة او الملاحظة ولا يتناسب معها تحليل المحتوى او الاستقصاء بالعينية. كما ان بعض الابحاث تستوجب المسح الشامل لمجتمع ما قليل العدد، يعلق الباحث فيه أهمية كبيرة على ميزة كل فرد منه.

وسوف نعرض لأبرز الوسائل والأدوات المستخدمة في جمع المعطيات ومميزات كل منها:

١-المسح الاجتماعي: (Social Survey)

إنه احد الطرق العلمية المعينة على كشف العلاقات الناتجة عن تداخل عدد من المتغيرات، مما يستوجب تقصّي الحقائق عنها بإجراء مسح شامل للمجتمع المستهدف بالبحث او بالدراسة، ويطلق عليه المسح العام عندما لا تستثني اي مفردة او وحدة من وحدات المجتمع. اما اذا حدث الاستثناء فيعني ذلك انه حدث التخصيص والتحديد الذي ينحصر في اختيار عينة من المجتمع. وهناك فرق بين المسح الشامل والعينة من حيث الأهداف والفلسفة.

ان اهداف دراسة المجتمع كله بدون استثناء أي وحدة اجتماعية منه، تعني الاعتراف

١- صابر بو ضرغم: المرجع السابق، ص ٦٨ و ٦٩.

بأثر المتغيرات على كل فرد وتعني ان هناك فروقاً فردية ينبغي التنبه لأثرها.

اما فلسفة دراســـة المجتمع كله فتعني عدم الاعتراف بـــالتمثيل، فلا مبرر لأن يمثل المجتمع بجزء منه وهو حاضر وقادر على اعطاء الحقيقة دون وســـيط. فالمجتمع حـــاضر وليس غائباً حتى يقبل بمن يمثله وإن التبريرات التي تقول بصعوبة دراسة المجتمع عن طريق المسح الشامل استوجبت تمثيله بالعينة، لا تليق ولا تتلائم مع دراسة الانسان بقـــدر ما تتلائم مع دراسة الاشياء والجماد والحيوان. (١)

وقد عرّف المسح الاجتماعي بأنه محاولة منظمة لتحليل وتأويل وتســـجيل وجمع البيانات عن الوضع الراهن لنظام اجتماعي او لجماعة او لمنطقـــة او لعينة منهم ســـواء بإستخدام المقابلات او اي اداة اخرى من أدوات البحث.

المسح الاجتماعي في الخلاصة ليس منهجاً من مناهج العلوم، بـــل هو طريقـــة من طرق البحث الاجتماعي، يدرس ظاهرة اجتماعية او منطقة ما بأبـــعادها المختلفة، مع كل تشابكاتها وتشعباتها.

أما أنواع المسوح الاجتماعية فنذكر منها الآتي:

اولاً : من ناحية مجال الدراسة وهي نوعان:

أ - المسوح العامة: والتي تهتم بمسح الظاهرة او الموضوع بشكل شمولي، كمن يمسح الأرض ليقيم عليها بناء، وذلك بدراسة نوع التربـــة ومكوناتها ودرجة تحملها واهمية موقعها في المخطط العام، ومعرفة المعالجات السابقة ان وجدت والتوقعات المستقبـــلية لعمرها الزمني واهميتها الاقتصادية والاجتماعية. فالمســـوح العامة تســـتهدف تغطية المعلومات من مختلف الجوانب فتهتم بالجانب التعليمي والصحي والســـكني والانتاجي

١- عقيل حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث، العلمي، مكتبة مدبولي، القاهرة، ط ١٩٩٩، ص ٧٦.

والخدمي كعوامل متداخلة في دراسة الموضوع.

ب – المسوح الخاصة: وهي التي تركز على جوانب محددة كبؤرة اهتمام، وتقتصر على جانب من الحياة الاجتماعية فترصده بكل دقـــة ووضوح وتشـــمل دائرة التركيز هذه، تبيان مجمل العوامل المتداخلة في الموضوع كالتعليم او الصحة او الاقتصاد او قطاع المرافق والخدمات.

ثانياً : من حيث المجال البشري وهي أيضاً نوعان:

أ – المسوح الشاملة وتستهدف دراسة كل مفردات المجتمع دون استثناء، وتسمى طريقة المســـح الشــــامل والتي تمتاز بـــأهميتها العلمية في جمع المعلومات والبـــيانات واستخلاص النتائج وايجاد الحلول والمقترحـــات. وكلمة "شـــامل" في الدراســـات الاجتماعية يقصد بها المجتمع المعني بالدراسة او البحث وحجمه، ولا يقـــصد بـــه كل مجتمع الدولة، بل مجتمع الدراسة. والذي يختلف حجمه باختلاف قـــدرة وامكانيات الباحث والفريق المساعد له.

ب – المسح بـــالعينة: وهو الذي يحدد حـــجم مجتمع معين وفق اختيارات منهجية لأنواع العينات بهدف الوصول الى اختيار تقل فيه نسب الاخطاء والتحيّز قدر الامكان.

ويمكن تقديم تصنيف آخر لأنواع البحوث يعتمد على عدة محاور منها:

١ –المكان: كالمســـوح الريفية او المدينية، او الزراعية او الصناعية او السياحـــية او الأثرية.

٢ –الزمان : مثل قياس أبعاد ظاهرة قبل وبـــعد التغيير الاجتماعي الحادث في مجتمع معين.

٣ –حسب الشمول: كأن يكون المسح لظاهرة واحـــدة، او لعدة ظواهر اجتماعية في مجتمع واحد او مسح لظاهرة اجتماعية تمتد عبر عدة مجتمعات.

٤-حسب الأهداف المراد تحقيقها في المسح الاجتماعي: وقد تستهدف دراسة التعليم لمعرفة مدى مواءمته لخطة التنمية، او دراسة الواقع الصناعي وتركزه المناطقي.

اما خطوات المسح الاجتماعي فهي تتطلب:

اولاً : رسم خطة المسح وتشمل تحديد الغرض منه، ثم تنظيم فريق البحث وجامعي البيانات وتدريبهم، وتحديد المنطقة التي سيجري عليها المسح وتقسيمها الى مربعات يوزع عليها فريق العمل، إعداد جداول العمل والميزانية، وتهيئة المجتمع للتجاوب مع عملية المسح.

ثانياً : تحديد وسائل جمع البيانات، فهناك اكثر من وسيلة منها الملاحظة والمقابلة والاستمارة، وكشف الاستبيان، والوثائق الرسمية... ثم جمع وتدقيق البيانات ومراجعتها بعد عودة فريق العمل من الميدان مباشرة للتأكد من صحتها. والتدقيق يتم على مرحلتين، تدقيق ميداني يتم أثناء جمع المعلومات في الحقل الميداني، وتدقيق مكتبي يتم بعد العودة من الميدان.

ثالثاً : تصنيف البيانات : ويتم ذلك بعد تبويبها بشكل دقيق وتسجيلها بطريقة منتظمة وكاملة وقابلة للتبويب والترميز والجدولة، إضافة الى مراعاة تكاملها وعدم تناقض المعلومات مع بعضها.

رابعاً : تحليل البيانات واستخلاص النتائج.

المسوح الاجتماعية عموماً قليلة في علم الاجتماع، الا اذا كان المجتمع المقصود بالدراسة قليل العدد. وهي عملية مكلفة تتطلب الكثير من الجهد والمال كما تتطلب تحضيراً كبيراً ابتداء من الاعداد والتحضير الى التنفيذ ومن ثم التحليل واستخلاص النتائج. وهذه الوسيلة تستعمل كقاعدة للتخطيط والانماء الشامل في كافة البلدان، وتصبح بحد ذاتها منجماً غنياً بالمعطيات. لكن في الغالب يعجز عنها الأفراد وتلجأ اليها

الحكومات والمنظمات الرسمية والدولية. لذلك تستخدم العينة في تنفيذ جمع البيانات.

-العينة وكيفية اختيارها:

لم تعد البحوث الميدانية المعاصرة تعتمد على طريقة المسح الشامل، بل اصبحت تعتمد على عينات مختارة من مجتمع البحث (Sample). والبحث او التحقيق الاجتماعي من خلال العينة اصبح من أهم التقنيات المستعملة في معرفة الواقع الاجتماعي. واستعمالها شائع في علم الاجتماع وعلم السكان، وهي تهدف الى الحصول على معلومات ومعطيات عن طريق تمثيل الكل بالجزء، وهي تؤدي في اغلب الاحيان الى إظهار معطيات يمكن استغلالها وتكميمها مباشرة.

وطريقة العينات (Sampling method) لا تدرس جميع وحدات مجتمع البحث، بل هي تدرس جزءاً صغيراً من مجتمع البحث بعد اختياره اختياراً منظماً او عشوائياً، على ان تكون العينة ممثلة لمجتمع البحث احصائيا. ومن الطبيعي ان تكون دراسة العينة أسهل وأيسر بكثير من دراسة مجتمع البحث بكاملة. فمقابلة عينة من مجتمع البحث تتميز بأنها توفر جملة من الأهداف والمميزات أهمها:

-السرعة في مقابلة وحدات العينة.

-توفير الوقت.

-توفير الجهود البشرية والامكانيات المادية.

-النتائج التي يتم الحصول عليها تكون دقيقة ومتشعبة وشاملة ويمكن تعميمها على مجتمع البحث.

وتستخدم العينة لتأمين ثلاثة أصناف من المعطيات:

١-الوقائع التي تعود للأفراد (كالعمر ودرجة الثقافة والدخل) او التي تعود لبيئتهم



(كالسكن والعلاقات العائلية والعمل) او التي تعود لتصرفهم في الظاهر او الذي يقرون به.

٢-الآراء وما يتبعها من مستويات الإعلام والترقب وكل ما يمكن تسميته بالمعطيات الفردية الشخصية.

٣-المواقف وكل ما يدفع الفرد الى التصرف أو العمل.

وطريقة العينات يستعمل فيها وسائل وادوات متعددة للحصول على المعلومات والمعطيات، وذلك طبعاً يعود الى ما يفرضه البحث نفسه والفرضيات التي يسعى الى اختبارها. فطريقة العينات يمكن ان يستخدم فيها تقنيات المقابلة او الملاحظة ، كما قد تطبق في اختيار المواد الوثائقية او الاعلامية او حتى التاريخية ، والتي تحتوي على معلومات تخدم غرض البحث كما قد تستخدم <الاستمارة>. وكل هذه التقنيات شائعة ومستخدمة في الابحاث السوسيولوجية. ولكن قبل الحديث عن هذه الادوات والتقنيات، كيف يتم اختيار العينة وما هي حدودها ومحاذير استعمالها وما هي أنواعها؟

يتطلب تصميم العينات الانتباه الى عدة مسائل تتعلق بأطرها ووحداتها وحجومها وأنواعها والمنطقة او المناطق التي تنتقى منها، اضافة الى تحديد درجة تمثيلها لمجتمع البحث الذي اختيرت منه والأخطاء المعيارية الداخلة فيها.

وتصميم العينة يعتمد على موضوع البحث الذي يزمع الباحث القيام به، ويعتمد على درجة دقة المعلومات التي يريد تحقيقها في بحثه، اضافة الى اعتمادها على طبيعة مجتمع البحث، هل هو متجانس او غير متجانس في الصفات الديموغرافية والاجتماعية والمادية والحضارية التي يهتم بها البحث؟ هل مجتمع البحث كبير ام صغير الحجم؟ ويعتمد اخيراً على الامكانيات المادية والبشرية والزمنية المتيسرة

للباحث(١). وبعد اتخاذ التدابير المتعلقة بتصميم العينة الاحصائية، يقوم الباحث بتصميم الورقة الاستبيانية (الاستمارة) (Questionnaire construction) وهذه المرحلة مهمة لأن بناء الاستمارة يمثل بناء لحلقة الوصل بين الباحث (the Researcher) والمبحوث (The client). والمقابلة بينهما تدور حول الاسئلة المفتوحة او المغلقة، المطروحة في ورقة الاستبيان، والتي تستهدف جمع المعطيات والمعلومات ذات الفائدة للبحث.

ويجب التنبه دائماً الى ان اختيار العينة عمل علمي يتطلب معرفة بعلم الاحصاء الذي يقدر درجة تمثيلها وأخطاء اختيارها. ومبدأ تمثيل العينة للمجتمع او الفئة التي يستهدفها البحث هو مبدأ ذو طبيعة احصائية يتعلق مباشرة بحجم العينة وكيفية اختيارها. إن تقنية العينة ترتكز على النظرية الاحصائية للاحتمالات (probability) وخاصة على قانون الاعداد الكبرى، والمقصود بها اختيار من بين مجموعة محددة من الوحدات الاحصائية عدداً نرى فيه كل الخصائص التي نتوسم توفرها في المجتمع الأم. وكذلك الحال في دراسة أية خاصية معينة (كالعمر والقامة ولون الشعر...) بحيث تقترب العينة ما أمكن من احتمال تمثيلها للمجموع. اما قانون الاعداد الكبرى فهو يفسر الشروط التي يجب توفرها ليصبح بالامكان تحقيق التمثيل. والمسألة الدائمة التي يطرحها الباحث عند محاولة بناء العينة تتلخص بالسؤال: كم يجب عليه الاختيار من افراد حتى تصبح عينة البحث ممثلة؟ ولتجنب أي خطأ في الاختيار، على الباحث ان يعمل بشكل علمي. فإذا استطاع الاجابة على السؤال عن طريق الاحصاء فإن حساب حجم العينة يرتكز عادة على حل مسألة مجال الثقة (intervalle de confiance) الموجود في مختلف الكتب الاحصائية. الا انه يتوجب ألا تقل العينة عن ثلاثين مفردة او

١- احسان محمد الحسن: المرجع السابق، ص ٥٠

وحدة، كما ان العينة لا تتحدد، الا فيما ندر، انطلاقاً من ميزة واحدة للسكان، بل يجب حساب حجمها بالنسبة للخصائص المتعددة والمتتابعة للسكان.

وفي هذه الحالة يختار للعينة اكبر الاحجام التي يصل اليها من الحسابات. في كل الاحوال مسألة حـــجم العينة، يمكن ان تحل بشـــكل علمي آخر، ليس بـــالضرورة عن طريق النظريات الاحصائية فقط، ففي بعض الحالات يعرف علماء الاجتماع والباحثون عن طريق التجربة أحجام العينات الضرورية لمعالجة عدد من أصناف المسائل. (١)

العينة وأنواعها: اما انواع العينات Types of samples فهي تقسم الى قسمين أساســيين هما: العينة المحددة أو العمدية Quota samples والعينة العشـــوائية Random Sample.

١-العينة العمدية او المحددة هي النموذج المختار من السكان بطريقـــة مقـــصودة ومتعمدة، اي بطريقة لا تعطي جميع وحدات السكان او مجتمع البحث فرصة متساوية للاختيار. لذلك تسمى احياناً العينة بالخبرة، فالباحث يحدد حـــجم العينة ويطلب من المقابل (interviewer) إختيار وحداها بالطريقة والاسلوب الذي يلائمه. لذلك يأتي الاختيار معتمداً على أفكار وآراء وذوق ومصلحة المقابل، الذي من الطبيعي أن يعمد الى اختيار القريبـــين منه او الذين يرتاح اليهم او تنطبـــق آراءهم وقـــيمهم وأدوارهم الاجتماعية مع آرائه وقيمه وأدواره. لكن هؤلاء قـــد لا يمثلون الســـكان في الكثير من الخصائص التي يهتم بها البحث. وهنا تكون العينة المختارة متحيزة وغير أمينة ولا يمكن الاعتماد عليها في عملية التعميم لأها غير ممثلة لمجتمع البحث تمثيلاً أميناً وصادقاً. وعليه فإن نتائجها البحـــثية والعلمية لا تتمتع بـــالموضوعية اللازمة في البحـــث العلمي. أما ايجابياها فهي كثيرة، منها قدرها على إعطاء معلومات وأدلة كافية عن طبـــيعة مجتمع البحث وعدم احتياجها لاجراء عمليات التحليل الاحـــصائي المعقـــدة التي تعتمدها

١- صابر بو ضرغم: المرجع السابق، ص ٧٧.

العينات العشوائية.

٢-أما العينة العشوائية فهي النموذج الذي يعتمد الاختيار بالطريقة العشوائية وهي غالباً ما تكون ممثلة لمجتمع البحث وعاكسة للحقائق والمعطيات، وتعطي فرصة متكافئة ومتساوية لجميع الوحـدات السـكانية لكي تكون ضمن العينة المطلوب دراسـتها وتحليلها.فيها تلعب الصدفة دوراً في الاختيار. وعملية الاختيار تتم من خلال طريقتين. الأولى تقليدية، وهي تتلخص بوضع جميع اسماء مجتمع البحث على أوراق صغيرة، كل ورقة تحمل اسماً من إسماء مجتمع البحث. وتوضع هذه الأوراق في صندوق، ثم يتم دمجها وخلطها جيداً، وبعدها يختار الباحث عدداً منها بالطريقة العشـوائية. والعدد المختار يكون العينة العشوائية التي يهتم الباحث بدراستها دراسة علمية.

اما الطريقة الثانية فتسمى طريقة العدد العشـوائي (the random number method) وهي تحتاج الى قائمة مفصلة تضم اسماء مجتمع البحث مرقـمة بشـكل تسلسلي وتصاعدي مثلاً يبدأ الرقم من (١) وينتهي بالرقم (٢٠,٠٠٠) والباحث يريد إختيار عينة تمثل (٥%) من مجتمع البحث، فيكون بذلك عدد وحدات العينة (١٠٠٠) والاختيار في هذه الحالة يكون بتحديد الرقم العشوائي المناسب وتحديد مسافة الاختيار. وتحديـد الرقم العشوائي لا يشكل مشكلة بالنسبة للباحث، فقد يختار مثلاً الرقم (٧)، لكن عليه بعد ذلك ان يحدد مسافة الاختيار، وهي عملية تتم وفق المعادلة الاحـصائية التالية:

$$\text{مسافة الاختيار} = \frac{\text{حجم العينة}}{\text{حجم مجتمع البحث}} = \frac{١٠٠٠}{٢٠٠٠٠} = \frac{١}{٢٠}$$

وهكذا فإن مسافة الاختيار هي ٢٠ أي ان كل شخص في العينة يمثل ٢٠ شـــخصاً في مجتمع البحث. ولأن الباحث قد اختار الرقم العشـــوائي (٧) فإن وحـــدات العينة المختارة تكون وفق الترتيب التـــالي: ٧-٢٧-٤٧-٦٧-٨٧-١٠٧-١٢٧-١٤٧-١٦٧......

وهكذا الى ان يتم اختيار (١٠٠٠) رقم من مجموع ال(٢٠,٠٠٠) رقم الموجودة في قائمة مجتمع البحـــث. وبـــعد تحديد أسمائهم يفتش الباحـــث عن عناوينهم لغرض مقابلتهم مقابلة ميدانية مباشرة او بريدية. وفي حالة تعذر مقابلة احدهم، فيمكن مقابلة الاسم الذي يأتي بعده في العينة.(١)

ومن سلبيات العدد العشوائي ان الباحث قد لا يســـتطيع الحصول على اطار العينة، اي لائحة الاسماء، وفي حالة الحصول عليه، قد يكون غير مكتمل، وبالتالي غير شامل وغير حديث. كذلك فالعينة العشوائية تكلف الباحث نفقات عالية تفوق اســـتعماله العينة المنتظمة او المحددة.

لا يقـــتصر توزيع العينات على نوعين، عشـــوائية وعمدية، فهناك عينات متعددة الاشكال كل منها يناسب غرضاً معيناً واستعمالاً يسهّل تحقيق اهداف البحث واختبار فرضياته، ومنها:

٢-العينة الطبقية (échantillon stratifié)

وقد تتداخل أنواع العينات (العشوائية والمنتظمة) في اختيار العينة الطبقية بعد تحديد التصنيفات الأساسية لها. ويقصد بالعينة الطبقية تلك التي تعتمد المستوى الاقـــتصادي للطبقات الاجتماعية اساساً لها وتختلف عن العينة الحصصية النسبية او الفئوية التي تعتمد على التصنيف المهني او الحرفي او الوظيفي.

1-Moser, C.A: Survey methods in social invsetigation, Heinemann, London 1967, P.76

يمكن للباحث بعد تحديد عينته الطبقية ان يتم اختياراته من الطبقـــات المســـتهدفة بالدراسة، بطرق الاختيار العشوائي او المنتظم او العمدي وذلك بـــعد تحديد حـــجم العينة. مثال : لو افترضنا أن:

حجم المجتمع ٦٠٠٠ اسرة

ونسبة العينة ١٠%

يكون حجم العينة ٦٠٠ أسرة.

ويتكون هذا المجتمع من ثلاث طبقات هي:

أ – الاغنياء ويمثلون ٢٠% وهي تساوي ١٢٠٠ أسرة / وحـــجم العينة فيها ١٢٠ أسرة.

ب – الطبقة الوسطى ويمثلون ٤٠% وهي تساوي ٢٤٠٠ أسرة / وحـــجم العينة فيها ٢٤٠ أسرة.

ج – الدخل المحدود ويمثلون ٤٠% وهي تساوي ٢٤٠٠ أسرة / وحجم العينة فيها ٢٤٠ أسرة.

وعليه يمكن أن يكون الاختيار لكل نسبة بالطرق العشوائية او المنتظمة او العمدية أو الفئوية.

عيوب هذه الطريقة ان المجتمع قد ينقسم الى طبقات لكن الفصل بينها أثناء البحث قد لا يكون دقيقاً، لأن نهاية الطبقة الأولى قد تتداخل مع بـــداية الثانية، ونهاية الطبقـــة الثانية قد تتداخل مع بداية الثالثة. أي ان الفرز بينها مسألة صعبة.

٤ –العينة الحصصية أو النسبية (échantillon proportionnel ou par quatos):

وفيها يشكل الباحث نموذجاً مختصراً للمجتمع مع الأخذ بعين الاعتبار لعدد محدود من

الخصائص الرئيسية (عملياً ليس اكثر من خمس خصائص). وينبغي ان يراعي الباحث الفئات المكونة للمجتمع ونسب وجودها فيه. فمثلاً في مجتمع مؤلف من (١٠,٠٠٠) شخص، نجد (٢٠٠٠) مرأة عاملة و (٣٠٠٠) امرأة غير عاملة و (٢٥٠٠) رجل عامل يدوي و(٢٠٠٠) رجل موظف و(٥٠٠) رجل غير عامل. في عينة مؤلفة من ٥٠٠ شخص من هذه المدينة يجب ان تحتوي على:

$$\frac{٥٠٠ \times ٢٠٠٠}{١٠٠٠٠} = ١٠٠$$ امرأة عاملة

$$\frac{٥٠٠٠ \times ٣٠٠٠}{١٠٠٠٠} = ١٥٠$$ امرأة غير عاملة

$$\frac{٥٠٠ \times ٢٥٠٠}{١٠٠٠٠} = ١٢٥$$ رجلاً عاملاً يدوياً

وهكذا تتابع ليتم اختيار نسب كل فئة. ويمكن اختيار العينة بطريقة عشوائية او منتظمة او عمدية.

من عيوب هذه العينة، ان المجتمع قد ينقسم مثلاً الى فئات حسب المهن والحرف والوظائف الخدمية، الا ان تحديد نسبها بشكل دقيق أمر غير متوفر دائماً. كما أن عمل الافراد قد يزدوج ويتداخل، فقد يكون بعض المدرسين يمارسون اكثر من مهنة او حرفة.

٥-العينة المكانية (échantillon aréolaire) وهي العينة التي يتم اختيارها حسب التقسيم الجغرافي نظراً لاتساع الرقعة الجغرافية المستهدفة بالبحث او نتيجة لكبر حجم المجتمع وتعدد اماكن تجمعاته وتفرعاته. فإذا اختار الباحث التوزيع الجغرافي الرسمي للبنان حسب المحافظات والاقضية. فبإمكان الباحث اختيار بعض الأقضية بشكل

عشوائي (خمسة أقضية مثلاً). ثم بإمكانه اختيار بعض البلدات والمدن عشوائياً داخل هذه الاقضية الخمسة وبشكل عشوائي أيضاً.

من عيوب هذه العينة ان أحجام التجمعات قد لا تتساوى وبالتالي تختلف النسب الممثلة لكل تقسيم، كذلك هي تحتاج الى جهد ووقت اكثر وتكاليف اكبر، فضلاً عن امكانية ان لا تتوفر وحدة البحث في الاختيار لاختلاف طبيعة التقسيمات المدنية عن الريفية او القروية. وإذا اعتمد الباحث الشارع كوحدة بحث فإنه قد لا يجد هذه التقسيم في القرى الريفية.

٦-العينة العنقودية: (échantillon par grappes).

في هذا النوع من العينات لا تشكل العينة من وحدات فردية فقط، بل من مجموعات او عناقيد من الوحدات المتجاورة ويتوجه التحقيق او الاستقصاء الى كل افراد العنقود.

٧-العينة المتدرجة (échantillon à plusieurs degrés).

وفيها تستعمل بشكل متتابع عدة تقنيات. مثلاً عند اختيار عينة مكانية في مدينة ما، يختار من كل حي افراداً للاستقصاء من طريق القرعة، فلا يسأل بذلك السكان كافة. ويمكن استعمال هذا النوع من العينات انطلاقاً من عينة عنقودية. وكلاهما يمكن استخدامه في أبحاث محددة وفي مجتمعات بحثية غير متجانسة. ومن عيوبها انه لا يمكن تحديدأول العنقود من آخره بدقة إحصائية، كذلك فإختيار الاحياء من مدن محددة، ثم اختيارأفراد من هذه الاحياء بطريقة عشوائية قد لا يعبر عن الحقيقة التمثيلية للمجتمع، الذي يتألف أعضاؤه من سكان مختلفين طبقياً وفئوياً وثقافياً...

٨-العينة التراكمية (échantillon boul de neige):

وفيها ينطلق الباحث من عينة تضم عدداً مختصراً من الأفراد، يضم اليهم اشخاص يصرحون انهم على علاقة بهم، ثم يصار الى اتخاذ الاضافة نفسها مع الجدد حتى تستكمل

العينة على طريقة كرة الثلج. وهذا النوع من العينات قليل الاستعمال، لكنه اقتصادي، والخطر من اعتماده يكمن في ادخال عددمرتفع من المتاعب في التجريب، لأن النمـــط الذي تتحدد به العلاقات ما بين الافراد لا يكون موضوعياً ابداً.

٩-العينة المراحلية (échantillon à plusieurs phases):

وفيها يزاوج الباحث بين عدة استقصاءات متتابعة. مثلاً تؤخذ اولاً عينة كبيرة من السكان يجري عليها تحقيق سريع (المرحـــلة الأولى)، ثم من ضمن هذه العينة تختار عينة أصغر تطبق في دراستها تحقيقـــات أعمق من الأولى (مرحـــلة ثانية). وهذا النوع من العينات يطبق عندما لا يملك الباحث قائمة بـــالافراد الذين يؤلفون مجتمعاً للدراســـة، والذي تستدعي دراسته وتتطلب عينة واسعة لتغطي وحدات اخرى نملك عنها قـــائمة ما.

والعينة المراحلية تكون ايضاً على درجات، مثلاً في حال دراســـة عينة من العمال الأجانب:

المرحلة الأولى: اختيار بالقرعة لأكبر عدد من مساكن حي ما يســـكن فيه عمال أغراب.

المرحلة الثانية: انطلاقاً من هذه القائمة تسحـــب بالقـــرعة عينة مختصرة مؤلفة من العمال الاجانب حيث يصار الى التوجه ليهم بالاستقصاء. (١)

نخلص الى ان اهم ما يجب ان يؤخذ بعين الاعتبار في اختيار العينة هو التالي:

-طبيعة لمعطيات المطلوبة للبحث والتي يمكنها ان تساعد على اختبار فرضياته.

-طبيعة المعلومات المتوفرة عن مجتمع البحث.

-درجة تجانس المجتمع المدروس.

١- صابر بو ضرغم: المرجع السابق ص ٨١.

-الامكانيات المادية والبشرية.

يبقى ان مهارة الباحث تتجلى في اختياره لنوع العينات المناسبة لبحثه، وحجم هذه العينات بما يراعي الخصائص الرئيسية للمجتمع المدروس بحيث تكون العينة ممثلة قدر الامكان.

الاستمارة والاستبيان:

يعتبر الاستبيان احد الوسائل التي يعتمد عليها الباحث في تجميع البيانات والمعلومات من مصادرها. ويعتمد الاستبيان على استنطاق الناس المستهدفين بالبحث من أجل الحصول على اجاباتهم عن الموضوع والتي يتوقع الباحث أنها مفيدة لبحثه وتساعده بالتالي على اختبار فرضياته.

والاستبيان نوعان: الأول مباشر، وهو الذي يوزع باليد مباشرة من الباحث، او الفريق المساعد له، بحيث تتم تعبئة الاستمارة مباشرة من قبل المبحوثين، ويتم توضيح أي استفسار او أي التباس يعترض المبحوثين. وميزات الاستبيان المباشر أن نسبة مردوده عالية والمفقود منه قليل، ويجعل الباحث متأكداً من ان المبحوث هو الذي يجيب على الاستمارة، انه ايضاً قليل الكلفة ويساعد على استجلاء معلومات حساسة نتيجة لعدم كتابة الأسم على الاستمارة.أما سلبياته فأولها انه لا يصلح مع الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، كما انه قد لا يتضمن اجابات صادقة من المبحوثين، او قد تكون غير واضحة وملتبسة، كما أن كثرة الأسئلة تبعث على الملل في نفوس المبحوثين.

اما الاستبيان غير المباشر وهو الذي يتم توزيعه عن طريق وسائل الاتصال التالية:

أ - البريد المرسل حيث ترسل إستمارة الاسئلة الى عناوين محددة، لكن تتم الاجابة عليها وإعادتها أيضاً عن طريق البريد. من إيجابيات هذه الوسيلة أنها تعطي وقتاً كافياً

للمبحوثين للاجابة على الأسئلة، انها تمكن الباحث من إجراء دراسات واسعة جغرافياً. أما عيوبها فأولها يتمثّل بقلة العائد منها، وان بعض من تصله الرسائل قد لا يجيد القراءة والكتابة، عدم استيعاب البعض للمفاهيم والعبارات، ان المبحوث قد يستعين بـآخرين للاجابة على اسئلة الاستمارة وبـالتالي لا يمكن التأكد من صدق الاستجابـات ولا يتمكن الباحث من إستقراء ردود افعال المبحوثين.

ب – الهاتف : ومن خلاله يتم الاتصال بالمبحـوثين في أماكنهم وعلى انفراد هاتفي. ومن ميزات هذه الوسيلة انها تعطي فرصة للمبحوث بأن يستفسـر عن أي إلتبـاس أو غموض، تلتقي هذه الوسيلة مع وسيلة المقابلة غير المباشـرة. اما عيوب هذه الوسـيلة فأولها أننا لا نستطيع التأكد من أن المجيب على الاتصال هو نفس الشخص او منتحـل لشخصيته، قد يكون وقت الاتصال غير مناسب للمبحوث، قد يشـك المبحـوث في مصداقية الباحث، كما ان هذه الوسـيلة تحرم من لا يملك هاتفاً من فرصة الدخول في العينة. وينطبق هذا الأمر على الاستفتاءات التي تحصل عبر الهاتف الخليوي.

ج – الصحف والمجلات: ومن خلالها يتم طبع استمارة الاستبيان في احدى الصحف او المجلات بحيث تكون في متناول الجميع لدراسة واستطلاع الرأي العام. وتتداخل وسيلة البريد مع هذه الوسيلة في بـعض الجوانب. وبـالتالي فإن الميزات والعيوب في بـعض جوانبها لاحقة ايضاً لهذا الاسلوب. الا ان الميزات الاضافية تنحصر في انه سريع التوزيع والانتشار ويختصر الوقت والجهد وليس مكلفاً كثيراً. اما عيوبه فتتمثل في ان الصحف والمجلات قد لا توزع في كل المناطق وبالتالي لا تفيد في اجـراء بحوث عامة، وليس كل أفراد المجتمع قادرين على القراءة والكتابة، وليسوا كلهم متابعين للصحف والمجلات.

د – الاذاعة والتلفزيون: هذا النوع من الاستبيانات تقوم بها الدول والشركات التي تود استطلاع الرأي العام. ومع ان هاتين الوسيلتين واسعتا الانتشار، إلاّ انه يؤخذ عليها ان

اوقات عرض الاستبيان قد لا تكون مناسبة حتى وان عرض في أوقات مختلفة.

-تصميم الاستمارة:

اما الاستمارة وصياغة الاسئلة فهي الأداة الاساسية لعملية الاستبيان وهي المحطة التي تلي تحديد واختيار العينة. ان تصميم الاستمارة مسألة بمنتهى الأهمية، فعليها يتوقف تجميع المعطيات والمعلومات والوقائع. ويتحتم في مرحلة إعداد الاستمارة:

-اختيار المتغيرات انطلاقاً من حاجة البحث وفرضياته.

-اختيار المؤشرات وتحديدها بشكل واضح من بين المتغيرات.

-صياغة الاسئلة بحيث تمثل الاجابات أدلة على وجود المؤشرات.

-توزيع الأسئلة وتركيزها على محاور وفصول أو عناوين البحث الرئيسية والفرعية.

والاستمارة تحوي عادة على مجموعة اسئلة بعضها مفتوحة وبعضها مغلقة، وبعضها يتعلق بالحقائق وبعضها الآخر يتعلق بالآراء والمواقف، وبعضها عام وبعضها متخصص. فهي وسيلة علمية تساعد على جمع الحقائق والمعلومات عن المبحوثين خلال عملية المقابلة. وهي الوسيلة التي تفرض على الباحث التقيد بموضوع البحث وتمنعه من الاستطراد والخروج عن الموضوع. وبدون استمارات الاستبيان لا يستطيع الباحث او المقابل جمع المادة العلمية من الحقل الاجتماعي، ولا يستطيع التقيد بالمواضيع الاساسية لبحثه، ولا يستطيع طرح اسئلة بصورة متكاملة ومنسقة ومتشابهة وموضوعية ومحصورة في إطار ثابت على الجميع.

يجب التذكر دائماً ان جميع الأسئلة يجب ان تدور حول موضوع الدراسة، ويجب أن تتوالى حزمة الأسئلة المترابطة مع كل محور او عنوان رئيسي في البحث.

تقسم الاستمارة الاستبيانية الى ثلاثة أبواب رئيسية. الباب الأول الصفحة الأولى يجب ان يحمل معلومات عن الجهة التي تقوم بإجراء البحث، ثم يذكر عنوان البحث، يليها اسم الباحث او مجموعة الباحثين المشرفين على البحث، ثم يحدد في نهاية زاوية الصفحة تاريخ اجراء المقابلة واسم المقابل. ويمكن ان ندون على الصفحة الأولى ايضاً العبارة التالية: ''ان المعلومات التي تزودنا بها لن يطلع عليها اي شخص او جهة ولن تستخدم الا في اغراض هذا البحث العلمي مهما كانت الأحوال'' مثل هذه الملاحظة يمكن ان تشجع المبحوث على التخلص من بعض التردد والقلق.

اما الباب الثاني من الاستمارة الاستبيانية، فيدور حول جمع المعلومات العامة او الشخصية المتعلقة بالمبحوث (عمره - جنسه - مهنته - دخله الشهري - مستواه العلمي - ديانته - عدد أفراد اسرته - خلفيته الاجتماعية - منطقته السكنية، حالته الزوجية - ميوله واتجاهاته...).

اما الباب الثالث فيتعلق بالأسئلة المتخصصة التي يدور البحث حولها. فإذا كان البحث يدور حول مشكلات المرأة العاملة، فيجب ان تغطي الأسئلة المحاور الاقتصادية والاجتماعية والتربوية والعائلية والمهنية، وقياس الاراء والمواقف والاتجاهات مع الاختيار الدقيق للأسئلة المغلقة التي لا تعطي المجال للمبحوث بالاجابة على السؤال كما يشاء، او الاسئلة المفتوحة التي تعطيه الحرية الكافية بتحديد اجاباته حسب مشيئته وافكاره وميوله.

-مثال عن الاسئلة المتعلقة بالحقائق (Factual Questions):

- كم ساعة تعمل في اليوم؟ كم ساعة تشاهد التلفزيون

-مثال عن الأسئلة المتعلقة بالآراء والميول (Opinion questions)

-هل تؤمن بالصداقة بين الجنسين؟ هل تعتقد بوجود مخلوقات غير مرئية؟ هل

تصدق قراءة الفنجان والابراج...

-وهناك الأسئلة المفتوحة (open questions) مثل: ما هي المشكلات التي تعاني منها في العمل؟ أو في الدراسة؟ او في المترل؟ الاجابة على مثل هذه لأسئلة حرّة ومفتوحة ويمكن للمبحوث ان يختار الصيغة الملائمة له.

-وهناك الأسئلة المغلقة (pre-coded questions) مثل: ما هي طبيعة المشكلات التي تعترضك في العمل: مادية ☐ معنوية ☐ الأثنين معاً ☐

وهناك الأسئلة المغلقة والمفتوحة بنفس الوقـــت. مثل: اذا كانت المشـــكلات التي تعترضك في العمل مادية، فهل لها علاقة بالراتب ☐ بالمكافآت ☐ بعدد ساعات العمل ☐ بأمور أخرى حدد...

ما هي وسائل الترفية المفضلة لديك؟ رياضية فنية ☐ فردية، ☐ جماعية ☐ وسائل اخرى حدد...

في حالة الأسئلة المفتوحة للمبحوث مطلق الحرية بذكر أي معلومات يعتقد بـــأنها متعلقة بالسؤال. ومن الطبيعي أن تختلف المعلومات التي يذكرها المبحوثون بـــاختلاف تجاربهم وخلفياتهم الثقافية والاجتماعية، وبالتالي يتطلب هذا الأمر من الباحث او لمقابل ان يسجل الاجابات كما هي. وفي حـــالة كانت الاجابـــة مفصّلة جداً او طويلة، فإنه يتوجب على الباحث اختيار المعلومات المهمة وتسجيلها على الورقة الاستبيانية بدقـــة وأمانة. ويستطيع الباحث تزويد المبحوث بالشروح والتفسيرات عن الأسئلة المطروحة عليه. الا ان مساوىء الأسئلة المفتوحة كثيرة، منها ان الباحث قد يجد صعوبة في تدوين جميع المعلومات، مما يجعله يختار بعضها ويهمل البعض الآخر، والتي يمكن ان تكون مهمة جداً للبحث. كذلك من الصعب فرز وترميز الأســـئلة المفتوحـــة وإدخالها في جداول إحصائية عن طريق تكميمها.

اما الأسئلة المغلقة فيحدد فيها الباحث الاجابات المتوقعة مسـبقاً. والمبحوث بعد قراءته للسؤال المغلق والتعرف على إجاباته المحددة يؤشر على الجواب المحدد له من قبل الباحث والذي ينسجم مع ميوله واتجاهاته. والاجابات المتوقعة او المفترضة التي يضعها الباحث يجب ان يراعي فيها ان تكون كاملة وشـاملة بحيث يمكنها ان تغطي مواقـف وافكار جميع المبحوثين مهما كانت خلفياهم الاجتماعية والثقافية او السياسية والمهنية. ومن أهم فوائد الأسئلة المغلقة، سهولة الاجابة عليها وسهولة تبويب المعلومات وفرزها وتكميمها وتحويلها الى جداول احصائية. الأسئلة المغلقة تساعد البحث على ان يكون بحثاً علمياً تحليلياً بـعيداً عن الوصف والخيال والانفعال الذي يصيب الابحاث التي لا تعتمد على الاسلوب العلمي في جمع وتصنيف وتحليل الحقائق الموضوعية. مع هذا يجب التنبه الى مساوئها، فهي تحدد إجابات المبحوث بالشكل الذي يريده الباحـث. وهذه الاجابات قد يكون فيها الكثير من الايحاء، كما الها قد لا تعبر عن المواقف التي في ذهن المبحوث. وفي هذه الحالة ستكون نتائج البحث غير دقيقة، وغير معبرة عـن الحقيقة والواقع. كذلك لا يستطيع المبحوث اعطاء الباحـث معلومات مفصلة، وبـالتالي لا تستطيع الأسئلة المغلقة كشف الخلفيات الذاتية والقيمية والسيكولوجية للأشـخاص المبحوثين. لذلك لا تستخدم كثيراً في البحوث التي تتعلق بالآراء والمواقـف، وفي هذه الحالة ينبغي مزج الأسئلة المفتوحة مع الأسئلة المغلقة لكي يمكن كشف حقيقة المواقف والاتجاهات للمبحوثين.

اما اسئلة الحقائق فالمبحوث لا يحتاج معها الى تفكير عميق وعقلاني للاجابة عليها كما هو الأمر حين يتعلق بأسئلة الآراء والمواقف. فهو إما يمتلك جهاز كمبـيوتر او لا يمتلك. هذه الحقيقة البسيطة لا تحتاج الى جهد للاجابة عنها بدقـة وأمانة. اما سـؤال الآراء والمواقف فيتطلب مراجعة ذهنية وفكرية لمعتقداته وقناعاته تجاه مسـألة كالزواج

المدني او تجاه أي موقف سياسي يطلب منه ابداء الرأي فيه.

صياغة ســـــؤال الآراء والمواقف صعبة وتحتاج الى تأنّ وتفكير معمّق، فأي خطأ بصياغة السؤال قد يسبب انفعال المبحوث او وقوعه في ردة فعل. والاجابة على سؤال الآراء والمواقف تحتاج الى وقت من المبحوث للتأمل والتفكير ويتطلب منه جهداً مركزاً ليقدم إجابة مقنعة وعلمية. والفرق بين أسئلة المواقف والحقائق، ان الباحث يستطيع ان يشرح ويفسر السؤال للمبحوث اذا كان السؤال يتعلق بالحقائق. فإذا كان السؤال عن المستوى الثقافي، فمن حق الباحث توضيح المقصود بالمســـتوى الثقافي. بينما ليس من حق الباحث الشرح والتوضيح في سؤال الآراء والمواقف، لأن هذا قد يقود الى سوء فهم السؤال او الى الايحاء بجواب لا يتلاءم وحقيقة افكار وميول وإتجاهات المبحوث.

فالباحث حين يريد معرفة أفكار المبحوث إزاء الزواج المدني والطائفية السياسية، او العلمانية، او نظام تعدد الزوجات، او حتى مواقفه السياسية تجاه قضايا كاليمين واليسار والعولمة، فليس من حقه التعليق على هذا السؤال او تفسيره للمبحـــوث، على عكس اسئلة الحقائق التي تدور حول مواضيع محددة تتعلق بالجوانب العمرية والمهنية والثقـــافية والاجتماعيـــة والســـكنية والصحية، وهي مسائل لا تحتاج الى تفكير وتأمل ومراجعة ذهنية عميقة، كما الأمر في حالة اسئلة الآراء والمواقف التي اذا قام الباحث بشرحها او التعليق عليها امام المبحوث، قد يؤدي شرحه الى تشـــويهها وزيادة غموضها او تغيير مضمونها مما يؤثّر على رأي المبحوثين. (١)

لذلك ليس من حق الباحث او المقابل التعليق او الشرح او التفســـير على أســـئلة المواقف والآراء حتى لا يتسبب بسوء الفهم او التحيز في الاجابة.

١- احسان محمد الحسن: المرجع السابق، ص ٨٢.

-صياغة الأسئلة وشروحها:

ان صياغة الأسئلة في الاستمارة الاستبيانية هي أيضاً محور رئيسي لنجاح البحث. فعليها يتوقف تجاوب المبحوثين وتقديمهم لاستجابات مفيدة للبحث. ولتحقيق ذلك يستلزم التقيد بعدد من الشروط العلمية منها:

١-ان تبقى الأسئلة متعلقة بموضوع البحث ولا تخرج عن إطاره ومضامينه العلمية بأية صورة من الصور.

٢-ان يكون عدد الاسئلة معقولاً ومشجعاً للمبحوث على التعاون. فلا تكون طويلة ومملة، ولا قصيرة او قاصرة عن إستخراج المعلومات المفيدة. إن تفرّع وتشعّب الاسئلة لا يشجع المبحوث، ويجلب التذمر.

٣-يجب ان تخلو الاستمارة من المصطلحات الفنية والمفاهيم المتخصصة.

٤-ان تكون الأسئلة قصيرة، مركزة، وواضحة، وبعيدة عن الغموض والارتباك والتشويش.

٥-ان تكون الأسئلة متسلسلة منطقياً، متصلة الواحدة بالاخرى بشكل نظامي وعقلاني.

٦-ان تتميز الأسئلة بالحيادية والموضوعية والبعد عن الاستدراج للمبحوث بل وحتى البعد عن الايحاء له ولو بشكل غير مباشر للاجابة بإتجاه محدد.

-الملاحظة والمشاهدة:

تعتبر الملاحظة والمشاهدة من الأدوات الهامة في البحث العلمي. والملاحظة ليست هي المشاهدة مع انهما يتداخلان كثيراً. فالمشاهدة هي الوقوف عن كثب على الشيء المراد رؤيته لأنها مقتصرة على العين في مشاهدة الاشكال والافعال، وتمكن الباحث من

الوصف لما يشاهده. والملاحظة هي الربط بين المشاهد والمسموع، لأنها الاداة المستعملة لحاستي السمع والبصر، والعقل في وقت واحد. فيلاحظ الانسان بأذنيه كما يلاحظ بعينيه. لكنه لا يستطيع المشاهدة بحاسة السمع.

ان المشاهدة تحتوي على المعاينة بالعين للشيء، وذلك عن طريق تفحصه ككل، وكجزء بنظرة ناقدة. أي ان المعاينة بالمشاهدة تتم للأشكال والصور والاجسام وحركتها والتعرف على مكوناتها. اما المعاينة السماعية فهي لا تحدث للاشكال والصور، بل تهتم بالمسموع او المقروء، وهي الاداة القادرة على التمييز بين الصدق واللغو. فعن طريقها يتمكن الباحث من الاطلاع على العلاقات بين المواضيع وما يجري داخلها لأنها تتعلق كملاحظة بجوهر الاشياء، وتستند في ذلك على المنطق واللغة والفكر واستنباط القوانين. فالعين لا تشاهد الكلمات المنطوقة مع انها تشاهد المكتوبة بها، والأذن قادرة على ملاحظة المسموع وليست قادرة على مشاهدة المكتوب وملاحظة مضمونه.

يحتوي معنى الملاحظة اذن على المتابعة الواعية بالسمع والنظر، فإذا استمع الباحث بإنتباه لحديث المبحوث فإنه يستطيع تتبع افكاره وإستيعاب مقاصده. واذا نظر الباحث بإنتباه، يستطيع ان يلاحظ سلوكياته من خلال الحركة.

ان المشاهدة في حد ذاتها عابرة ومحدودة. اما الملاحظة فهي عميقة وواسعة، وتحتوي على الاستنتاج العقلي. وعليه قد تكون المشاهدة وسيلة هامة للملاحظة. ان المشاهدة تعتمد على ما تراه العين ولكن ليس كل ما تراه العين هو حقيقة، لأن الظاهر قد يختلف عن الباطن، ولذلك فالاعتماد على المشاهدة في القضايا العلمية، مسألة غير يقينية. مما يستوجب استعمال وسيلة الملاحظة والمقابلة لتعميق الرؤية والتشخيص، وبالتالي العلاج الذي يمكّن الافراد من أداء واجبهم الاجتماعي وفق ما لهم من حقوق وما عليهم

من واجبات.

ترتبط الملاحظة بالموضوع ولا تنفصل عنه، لأنها إذا انفصلت عنه تصبح غير علمية، وبدون معنى محدد لها. وهي ترتبط بالظرف الزماني والمكاني. الملابـــس تشـــاهد ويتم تمييزها، اما ما يدل على الذوق في اللباس ومراعاته للمكان والزمان فهو يلاحـــظ ولا يشاهد.

لا تقتصر الملاحظة على الصور والاشكال، بل تتعداها الى المعاني والالفاظ والآثار، وما يحاول ان يخفيه او يظهره المبحوث، وهذا لا يتحقق بالمشـــاهدة التي تقـــتصر على مشاهدة الصور. ان التناقض في الحديث، والتلعثم، والخجل، والتظاهر بالمحبة والانطواء والاكتئاب والتشاؤم ومحاولة انكار الانفعال والغضب واظهار الفرح، كل هذا لا يمكن مشاهدته ولكن من الممكن ملاحظته. وعليه ليس كل ما يلاحظ يشاهد بـــالضرورة. ولكن كل ما يشاهد يمكن ان يلاحظ. ان قوة العلاقـــات بـــين افراد الاســـرة لا يمكن مشاهدتها ولكن بالامكان ملاحظتها. لذلك فالملاحظة من اكثر الادوات أهمية لاثبات الحقائق، لأنها تفسيرية بطبيعتها الى جانب كونها وصفية، فهي تعتمد على الحس والعقل وتنظر في الظاهر والكامن. أما المشاهدة فهي أداة اســـتطلاعية تقـــتصر في الغالب على الوصف، اي ان المشاهدة تصف السلوك والملاحظة تفسره بنظرة اختبـــارية فاحـــصة وتصفه بوعي.

وتعتبر الملاحظة والمشاهدة احياناً بأنهما أداتان هامتان لوســـيلة المقابـــلة. لأنه من خلال المقابلة يمكن مشاهدة المبحـــوث وتصرفاته ويمكن ملاحـــظة ردود أفعاله على الأسئلة المطروحة عليه. فمشاهدة الباحث للمبحوث وهو يبكي اثناء المقابلة مع حـــالة من الحالات الانـــحرافية، تمكنه من خـــــلال الملاحظة من إثبات ان هذا البكاء ليس صادقاً على سبيل المثال، ولكنه لاستدرار عطف الباحث نتيجة الحيـــــــــل الدفاعية

للمبحوث، ومحاولته التأثير على الباحث من خلال التذاكي وتمييع الموضوع. كذلك فإن مشاهدة المتسولين وهم في ثياب رثة وبالية، قد لا تعكس بالضرورة حقيقة الفقر والحرمان الذي يعيشون فيه، إذا أخضعوا للملاحظة التي قد تظهر عكس ما توحي به ثيابهم. اذن الملاحظة والمشاهدة العلمية ليست عابرة ولا تتم بالصدفة، بل هي عملية مقصودة تحدث وفق خطة، وتتطلب إنتباهاً ووعياً وتتابعاً وثيقاً، وتنطلق من موضوع محدد لتحقيق اهداف محددة.

أهمية الملاحظة والمشاهدة إذن، بالاضافة الى ما سبق تتمثل في أنها:

١-تفيد في دراسة المبحوثين الذين قد لا يستجيبون للمقابلة او الاستبيان.

٢-انها تمكن الباحث من أن يكون شاهد عيان وفق خطّة علمية واضحة.

٣-انها تفيد في دراسة ديناميكية الأفراد والجماعات والمجتمعات.

٤-تفيد الملاحظة في الدراسات الكشفية والوصفية والتجريبية والتاريخية.

٥-تمكن الباحث من متابعة التغيرات السلوكية ورصدها ايجاباً او سلباً.

خطوات الملاحظة:

وهي تتحقق وفق خطة واضحة ومبرمجة تتمثل في:

١-تحديد موضوع الملاحظة واهدافها بشكل واضح.

٢-تحديد وحدة الملاحظة هل هي المدرسة؟ ام سلوك المدرسين والمدرسات واسلوب عطائهم في الصف؟ ام الطلاب وكيفية تفاعلهم مع الشرح؟

٣-تحديد الظرف المناسب لاجراء الملاحظة والمشاهدة. لأن الموضوع الملاحظ يؤثر ويتأثر بالظرف الزماني والمكاني. لذلك يجب على الملاحظ ان يجري الملاحظة والمقابلة في الظروف الطبيعية لها، حتى لا يحصل على معلومات متأثرة بظروف طارئة او

خارجية.

٤-تحديد نوع العلاقة المناسبة للموضوع والملاحظة. ذلك ان العلاقة بـين الباحـث والمبحوثين تنعكس على طبـيعة السـلوكيات وردود الافعال، وبـالتالي على النتائج المتوخاة من الملاحظة لذلك على الباحث ان يحدد نـوع العلاقة التي يجب ان يقيمها مع المبحوثين.بما يحسّن مهمته (علاقة صداقة - علاقة رسمية..).

٥-تحديد كيفية واسلوب التسجيل، ذلك ان الملاحظات العلمية دقيقة وكثيرة ومتتابعة ومترابطة مع بعضها البعض، مما يستوجب تسجيلها حتى لا تضيع. والتسجيل مسـألة فنية. فقد يكون أثناء حدوث الفعل او السلوك الملاحظ. او قد يوكن بعده. وقد يكون بعلم المبحوث او بـغير علمه. ولعملية التسـجيل أصول يجب مراعاتها كي لا ينغمس الباحث في تفسير ما يشاهده، وبالتالي يغرق في الشرح، فتفوته مجموعة ملاحظات دون ان تسجل. ومن الأفضل ان يسجل الباحث ملاحظاته في وقتها حتى لا ينسى شيئاً، لكن من سلبيات هذا الأمر ان المبحوث قد يتخلى عن فطرته وطبيعته ليتصنّع سلوكاً او تعابير ليست من طبيعته. (١).

انواع الملاحظة:

تنقسم الملاحظة الى ثلاثة انواع رئيسية هي:

١-الملاحظة البسيطة (Simple observation) ومن خلالها يلاحظ الباحث بعض الظواهر المفترضة سلفاً كرد فعل المشترين للمعروضات، والعلاقات الانسـانية بـين الادارة والعمال ونشاطات العمال وقت العمل والراحة، ومرور مجموعة من الناس امام ملصق جداري، بدلاً من الاستجواب المباشـر كما في حـالة المقابـلة. والهدف من

١- عقيل حسين عقيل: المرجع السابق، ص ١٧٣.

الملاحظة البسيطة جمـــع وتصنيف وتحليل الحقائق والمعلومات التي يجمعها الباحث من الحقل الاجتماعي بعد فحصه وملاحظته وتحليل جوانبه المختلفة (١). لكن هناك بعض الظواهر الاجتماعية لا يمكن مشاهدتها او ملاحظتها بالعين المجردة، فعلاقـــات الافراد ببعضهم لا يمكن مشاهدتها بل يمكن استنتاجها وتوقعها من قبل الباحث او الملاحـــظ، الذي لا يجب ان يتدخل ذاتياً فيما يلاحظه او يشاهده في هذا النوع من الملاحظة.

ومن المهم جداً في هذا المجال ان لا يدخل الباحث اهواءه ونزعاته وتحيزه في الأشياء التي يلاحظها او يستنتجها او يتوقعها من خلال احتكاكه بـــالظاهرة المدروســـة. لأن اعتماد معطيات مشوهة ومشكوك بصحتها تنتج بحثاً غير علمي ولا ينطبق مع الحقيقة والواقع.

- الملاحظة بالمشاركة (Participant obseravation) :

ويستعملها بالاضافة الى الباحثين الاجتماعيين،علماء الانتربولوجيا في البحـــوث الميدانية التي يقـــومون بها، والتي تتطلب منهم مشـــاهدة الظروف الاجتماعية والمادية والحضارية للمبحوثين، والمشاركة في نشـــاطاتهم اليومية، والاطلاع على معتقـــداتهم ومواقفهم واغراضهم وطموحاتهم. وهذه الطريقة تمكن الباحث من معرفة وفهم الافراد والجماعات بشكل عميق، بالاضافة الى انها تساعد على ملاحظة معالم البـــيئة والحياة الاجتماعية، وفي نفس الوقت المشاركة الفعالة في الحياة اليومية للمبحوثين والاحتكاك بهم والتفاعل معهم والاطلاع على حياتهم النفسية والذاتية.وتطبـــق هذه الطريقـــة من خلال اسلوبين:

أ – المشارك الكامل، والذي يتحـــدد من خلال دور الباحـــث اثناء ملاحـــظته للمجتمع او الظاهرة المدروسة، حيث ينبغي ان لا تعرف الجماعة المدروسة ان هناك من

1-Mitchell, D.A: Dictionary of sociology, Routledge and kegan paul, London, 1973, p129

يقوم بملاحظتها، حيث على الباحث في هذه الحالة، ان يتعامل مع الجماعة كأنه عضو أساسي فيها، مما يفرض عليه الإلمام باتجاهاتها واهدافها والتقيد بتعاليمها، وأساليب المعاملة فيما بينها ومع الآخرين، وان يمارس نشاطاتها. ان هذا الاسلوب من المشاركة يتطلب مرونة عالية من الباحث فضلاً عن قدرة على التكيف والصبر خاصة اذا لم تتقبله الجماعة ولم تثق فيه، او اذا تعرض لمواقف استفزازية.

الهدف من هذا الاسلوب هو رؤية المجتمع المدروس من الداخل والتعرف على الاساليب التنظيمية للجماعة، والاهداف التي تسعى الى تحقيقها والمنهج التربوي الذي تعتمده.

ب - المشارك الملاحظ، وفيه تتم الملاحظة والمشاهدة والمبحوثين يعلمون بوجود الباحث كمشارك ملاحظ معهم. وينتشر هذا الاسلوب كثيراً في الدراسات الانثربولوجية.وقد ترتقي درجة الثقة بين الباحث والمبحوثين الى درجة الصداقة التي ينبغي ألاّ تؤثّر على موضوع الملاحظة. ومن ميزات هذا الاسلوب ان الجماعة قد تتقبل الباحث وتثق به، وبالتالي تظهر كل ما هو كامن عندها من أفعال وسلوكيات وعادات وأعراف من أجل عدم احساسه بالغربة او نتيجة اعتزازهم بما يمارسونه من سلوك وأفعال. أما عيوبه فتظهر اذا لم تتقبل الجماعة الباحث وتثق فيه، فحينها قد تسلك أمامه سلوكيات مصطنعة مما يؤدي الى تشويه الملاحظة. ومن عيوبه ايضاً ان الباحث قد يندمج في الجماعة الى درجة تأثره العاطفي بأدوار الجماعة فيتحيّز اليها بشكل قد ينسيه دوره العلمي الذي جاء من أجله.

٣-الملاحظة المنظمة (systematic observation) تختلف الملاحظة المنظمة عن الملاحظة البسيطة اختلافاً كبيراً يتجسد في الضبط العلمي والفحص الموضوعي والتحديد الدقيق للظواهر والمعالم التي تتخصص الملاحظة المنظمة بالتركيز عليها لغرض

فهمها وتحليلها والاطـــلاع على مميزاها الاساسية. ان الملاحظة المنظمة تخضع للضبط العلمي سواء كان ذلك بالنسبة للقائم بالملاحظة او بالنسبة للأفراد الملاحظين او بالنسبة للموقف الذي فيه الملاحظة.

انها تحدد في موضوعات تشخّص سلفاً، وتقتصر على المواقف الطبــيعية بالنسبـــة لافراد البحث، وذلك بترول الباحث نفسه الى منطقة البحث حيث توجد الظاهرة التي يود الباحث دراستها وتحليلها، فكلما كان الموقف طبيعياً كانت نتائج الدراســـة أدق، بينما اذا كان الموقف متصنّعاً كما في حالة المقابلة الرسمية، فإن نتائج الدراســـة قـــد لا تكون مضبوطة ودقيقة. قد يلجأ الباحث الى تكرار ملاحـــظته بشـــكل دوري في هذا النوع من الملاحظة، فالملاحظة الدورية الطبيعية تكشـــف تكرار الســـلوكيات وردود الأفعال وتحتاج الملاحظة المنظمة الى دقة في التسجيل للحقائق والمعطيات، وقد تتطلب استخدام الصور الفوتوغرافية والخرائط واستمارات البحـــث، والتســـجيل التلفزيوني والصوتي. من خلال هذه الوسائل وغيرها تستطيع طريقة الملاحـــظة المنظمة دراســـة فعاليات ونشاطات الجماعات الصغيرة دراسة علمية تعتمد على تصنيف النشاطات الى فئات سلوكية مختلفة.

ميزات الملاحظة وعيوبها:

-انها تمكن الباحث من رؤية المبحوث والاستماع اليه.

-انها تمكن الباحـــث من مشـــاهدة الأفعال والســـلوكيات المختلفة وملاحـــظة التفاعلات والانفعالات والنوايا والمقاصد في وسطها الطبيعي.

-انها تعطي الباحث فرصة للتأكّد من الأشياء الممكن مشـــاهدتها وتســـاعده على التعرف على مشاكل المبحوثين.

-انها وسيلة لاختبار إجابات المبحوثين التي أدلوا بها عن طريق الاستبيان او استمارة المقابلة. لأن الفعل قد ينطبق مع القول او يخالفه.

-من عيوبها ان الفعل او السلوك المشاهد قد لا يعبر عن النوايا والمقاصد الباطنية.

-قد تدخل ايضاً آراء الباحث الخاصة في تفسير الموضوع الملاحظ.

-ان الملاحظة بالمشاركة قد تتعارض مع القوانين والاعراف.

المقابلـــــــــــة: وهي احد وسائل جمع المعطيات والبيانات من مصادرها، وتتم بين طرفين حول موضوع محدد، منطلقاً من اســـــباب ومحققاً لغايات، وتهدف المقابلة العلمية الى التعرف على الظاهرة او الموضوع، بالبحث عن العلل والاسباب من خلال التقاء مباشر بين شخصين: الباحث او المقابل (Interviewer) الذي يتسلم المعلومات ويجمعها ويصنفها، والمبحوث (Respondent) الذي يعطي المعلومات الى الباحـــث بعد اجابته على الأسئلة الموجهة اليه من قبل المقابل. وتنطوي المقابلة على فعل ورد فعل، سؤال وجواب وعلى سلسلة من التفاعلات الاجتماعية التي تعتمد على مجموعة رموز سلوكية وكلامية يقوم بها أطراف المقابلة.

المقابلة في الدراسات الميدانية تعتبر الوسيلة الاساسية في الوصول الي الحقائق التي لا يمكن للباحث معرفتها دون النزول الى واقع المبحـــوث والاطلاع على ظروفه المختلفة والعوامل والقوى التي تؤثر فيه، اضافة الى التعرف على طبيعة حياته النفسية والقـــيمية والمثالية (١) وهي تتميز بأشـــكالها المختلفة، وبتطبـــيق مجمل عملية الاتصال والتفاعل الانساني ما بين الباحث والحقل الاجتماعي الذي يبحـــث فيه. فهي عن طريق الاتصال تسمح بالحصول على معلومات وعناصر ومعطيات غنية ومتنوعة.

1-Moser, C.A, Survey methods.. Op.cit, p185

وتتطب المقابلة الناجحة بين الباحث والمبحوث درجة من التفاعل والتعاون الايجابي بينهما، ومن أبرز واجبات المقابل ان يحترم المبحوث ويصغي الى اجاباته وشروحه وتعليقاته، ويجب أن يبلغه ان المعلومات التي يأخذها منه ستكون سرية ولن تمر الى اي جهة ثالثة. كما ينبغي على الباحث ان لا يرفع صوته على المبحوث، ولا ان يلزمه الاجابة على الأسئلة المحددة وان يخاطبه باسلوب وديع وانساني يتسم بروح المودة والصداقة. وتتطلب المقابلة من جهة ثانية ان يتعاون المبحوث بكل صدق ونزاهة ودقة وان يبتعد عن المواربة والتهرب لان ذلك سيفشل البحث.

أنواعها: وهي تختلف باختلاف أهداف البحث العلمي ومن أبرزها:

أ - المقابلة نصف الموجهة: والتي يشيع استعمالها في ميدان البحث الاجتماعي لأنها غير مفتوحة الاجابات تماماً وغير مقننة بعدد كبير من الأسئلة الدقيقة. ففيها يملك الباحث عادة اسئلة موجهة، مفتوحة نوعاً ما، يحاول من خلالها الحصول على معلومات. وهي نصف موجهة لأن نظام طرح الأسئلة قد لا يتبع المسار المسبق الذي أعده الباحث. كما ان التعبير عن فكرة ما قد لا يتخذ منحى استبقه الباحث، والمعلومات فيها قد تأتي تباعاً دون تدخل بعبارة خاصة وبترتيب يناسب تفكير الفرد المقابل. وجهد الباحث هنا يجب ان ينصب ببساطة على تركيز المقابلة حول الاهداف. فيرد المتحدث الى الطريق الصواب او الى لبّ الموضوع عندما يستطرد بعيداً عن المحاور الاساسية لموضوع البحث، وذلك من خلال طرح الأسئلة المناسبة،والتي تشحذ ذهن المتحدث في الوقت المناسب.

ب - المقابلة المركزة: وتهدف الى تحليل وقع حدث ما او تجربة محددة على الاشخاص الذين كانوا موضع التجربة او شهود عيان لها. وكما يدل اسمها، فالباحث هنا لا يملك اسئلة كثيرة محضرة سابقاً. لكنه يملك قائمة من النقاط المحددة والراجعة الى الظاهرة

المدروســــــــة. وأثناء اللقاء يتطرق الباحث الى هذه النقاط عندما يجد الفرصة مناسبة لذلك اثناء الحديث.

ج – المقابلة المفتوحة : وهي تستعمل كثيراً لدراسة حياة الافراد. وفيها يضع الباحــــث مخطط لقاء او اكثر، معمق ومفصّل، حيث يترك للافراد حرية الكلام للاحاطة بـــكل أوجه وجوانب البحث.

إن اسلوب المقابلة يفيد في مجال تحليل الشخصيات وأدوارها في أحداث معينة، كما يمكن ان يساعد على فهم نظام القيم والمفاهيم المرجعية التي تتصرف من خلالها الجماعة. كما أنها تفيد في تحليل الوقائع عن طريق عرض المعطيات والتصورات، فتظهر أبـــعادها وخلفياتها، وتعيد بناء مراحلها، مما يكسب البحث عمقاً في التحـــليل، وغنى في عرض مختلف الجونب التي تؤثر في المبحوثين المقابلين. (١)

أبرز واجبات الباحث او المقابل:

-الاتصال بعينة البحث والتفتيش عن عناوينهم.

-ان يضع المبحوث في صورة البحث ويقنعه بفوائده للمجتمع.

-ان يطلب منه التجاوب ويبني جسور الثقة معه ليحصل على أفضل تعاون ممكن.

-ان يطرح اسئلة الورقة الاستبيانية (الاستمارة) بوضوح وتركيز.

-ان يختار الوقت المناسب لاجراء المقابلة.

-يمكن في حال كان المبحوثون متعلمين ان يوزع الاستمارات الاستبـــيانية عليهم ويطلب منهم الاجابة عليها بأنفسهم حسب فهمهم لها. وفي حال كان المبحوثون غير متعلمين فإن الباحث يجب ان يقرأ الأسئلة عليهم.

---

١ – صابر بو ضرغم: المرجع السابق، ص ٧٣.

-تسجيل الاجابات بدقة والتأكد من إجابة المبحوثين بدون أي تأثير او ايحاء او تحيّز.

-تحفيز المبحوث على الاستجابة من خلال تبصيره بأهمية البحث.

-الانتباه ورحابة الصدر، فهناك حالات تكون فيها المقابلة مع شخصيات من طبيعة خاصة او متميزة او غير سوية. كما أن هناك من يتصف بسرعة الاجابة لدرجة إدغام بعض الحروف ولفظ بعض الكلمات بسرعة، مما يتطلب انتباهاً جيداً من المقابل. كذلك قد يكون هناك حالات معاكسة يتصف فيها المبحوث بالبطء الشديد، وبدرجة هدوء عالية، وقد تكون هذه مصطنعة من اجل استفزاز الباحث، كذلك قد يعاني بعض المبحوثين من التأتأة مما يجعل خروج الكلمات بطيئاً، وبالتالي يجعل وقت المقابلة أطول، كذلك قد يعاني البعض الآخر من ضعف السمع مما يتطلب تكرار طرح السؤال.

-عدم الاستهزاء بالمبحوث، فلكل فرد ظروف خاصة وإمكانيات وقدرات مختلفة، وإستعدادات ذهنية وفروقات اجتماعية متنوعة.

ميزات وعيوب المقابلة:

-انه يمكن من خلالها الحصول على معلومات وحقائق تتميز بدرجة عالية من الصدق، وهي تفيد في دراسة الذين لا يجيدون القراءة والكتابة، وتمكن الباحث من مشاهدة وملاحظة ردود افعال المبحوث وتحقق الود والتفاعل بينهما، وتمكن الباحث أيضاً من التعرف على اتجاهات ودوافع ومشاعر المبحوث.

-الا انه من عيوبها انها تحتاج الى وقت طويل وتكاليف كبيرة، وهي قد تتأثر بعواطف الباحث او المقابل، وهي قد تتم في ظروف غير طبيعية يتصرف فيها المبحوث بشكل مصطنع لا يعبر عن حقيقة الأمر، وأخيراً انها صعبة التقنين، خاصة في حالة المقابلة

المفتوحة، والتي لا يمكن من خلالها بســـهولة، تدوين جميع التفصيلات والمعلومات التي تظهر امام المقابل وبالتالي لا يمكن تحويلها الى ارقام، او تكميمها إحصائياً والتعليق على نتائجها. وبالتالي فإن هذا يؤدي الى فقدان صفة الثبات في الحقائق التي تجمع عن طريق المقابلات المفتوحة. فالمعلومات التي يحصل عليها المقابل من المبحوثين قـــد تختلف عن المعلومات التي يحصل عليها مقابـــل آخر من نفس المبحـــوثين. وهذا ما يجعل المقابـــلة المفتوحة صعبة وتحتاج الى خبرة وضوابط شديدة.



الفصل الرابع

تبويب المعطيات وفرزها وتحليلها

يقوم الباحث الاجتماعي بجمع المعطيات والمعلومات لسببين أساسيين، الاول لدراستها وتحليلها والخروج منها بتفسيرات تساعد على اثبات أمر ما، وهذا ما يحصل في التحليل الاجتماعي لوثيقة ما او لحادثة تاريخية معينة، والثاني لاستخلاص معطيات قابلة للتكميم ونافعة في دراسة غرض آخر كتفسير ظاهرة ما وتحديد أسباها ونتائجها. عموماً توجد المعطيات والمعلومات أما في النشرات الاحصائية التي تصدر عن المؤسسات المعنية بشكل دوري، او توجد بين أفراد المجتمع في صور مختلفة. وفي كلتا الحالتين يجب التفتيش عنها في الوثائق وفي مواقف وتصرفات الافراد.

وعندما يعجز الباحث عن جمع معلومات دقيقة وصادقة تخدم بحثه من خلال وثائق او بيانات احصائية موثقة، وموثوقة صادرة عن مؤسسات مختصة او إدارات معنية، فإنه يلجأ الى تقنيات وأدوات بحث اخرى ذكرنا بعضها في القسم السابق. الا ان المعلومات والمعطيات التي نحصل عليها في كل الحالات غير قابلة للاستغلال المباشر في البحث، فبعد جمعها والتدقيق فيها، ومراقبة وقراءة كل جزء منها. يصار الى وضع برنامج لتفريغها وتبويبها، يحدد الترابط والتداخل فيما بينها، والطرق التي يجب

اعتمادها في بناء الجـــداول والرسوم بحيث تخدم جميعها فرضية البحث واشكاليته.

هناك طريقتان لتصنيف او تفريغ البيانات هما طريقـــة التصنيف اليدوي (Hand Data processing) وطريقة التصنيف الآلي (Machine Data processing) واعتماد احداهما يعود الى حجم العينة، وتشعب المعلومات التي يطلبها الباحـــث وتوفر الاجهزة والوقت لدى الباحث.

وعملية التصنيف او التفريغ تستهدف تحويل المعطيات النوعيـــة والكيفية الموجودة في استمارة الاستبيان (الاجابات) الى معطيات كمية (رموز وأرقام) واحـــصائية. كي تسهل مقارنتها وتفسيرها.

ولكي تتم عملية التفريغ لا بد ان يصمم الباحث جدولاً لكل سؤال من الأســئلة المغلقة الموجودة في الاستمارة بحيث يتضمن السؤال واجابـــاته المحتملة (مثال الجدول رقم ١)

جدول رقم ١	المستوى التعليمي للعينة	
المستوى	التكرار	
أمي	////	٤
ابتدائي	~~////~~ ~~////~~	١٠
متوسط	~~////~~	٥
ثانوي	~~////~~ /	٦
جامعي	///	٣
المجموع	~~////~~ ~~////~~ ~~////~~ ~~////~~ ~~////~~ ///	٢٨

تشمل هذه المرحلة نقل المعلومات الموجودة في الاستمارة الى الجدول المعد للتفريغ خصيصاً لهذه الغاية. وتتم هذه العملية بوضع اشـــارة (/) خط مائل صغير في الخانة او الحقل الخاص في الجدول. ولتسهيل العد يتم تسجيل كل خمس معاً بشكل رمز واحدة

كما هو موضح في الجدول (رقم ١).

بعد ذلك يتم تبديل هذه الاشارات بأرقام حسابية تساويها في جدول خاص يسمى الجدول الاحصائي كما هو مبين في الجدول رقم (٢).

جدول رقم ٢	المستوى التعليمي للعينة	
المستوى	العدد	النسبة المئوية
أمي	٤	١٤,٢
ابتدائي	١٠	٣٥,٧
متوسط	٥	١٧,٨
ثانوي	٦	٢١,٤
جامعي	٣	١٠,٧
المجموع	٢٨	٪١٠٠

أما تحويل الارقام الى نسب مئوية في الجداول البسيطة فيتم على الشكل التالي: نقوم بتقسيم عدد الذين يقعون في مستوى معين (أمي، ابتدائي، متوسط) على المجموع الكلي مضروباً بمئة على الشكل التالي:

$\frac{٤}{٢٨}$ × ١٠٠ = ١٤,٢٪ نسبة الاميين.

$\frac{١٠}{٢٨}$ × ١٠٠ = ٣٥,٧٪ نسبة المستوى الابتدائي

$\frac{٥}{٢٨}$ × ١٠٠ = ١٧,٨٪ نسبة المستوى المتوسط

وهكذا الى اتمام الجدول بحيث تجمع هذه النسب مع بعضها لتكون في خانة المجموع مساوية ل (١٠٠٪).

ولا بد من الاشـــارة الى وجود نوعين من الجداول الاحـــصائية. النوع الأول هو

الجداول الاحصائية البسيطة التي تحوي سؤالاً واحداً (متغير واحد) كما هو مبين في الجدول السابق. اما النوع الثاني فهو الجداول الاحصائية المركبة (جداول المتغيرات التي تحوي اكثر من سؤال او متغير) كما في الجدول رقم (٣).

جدول رقم ٣	توزيع أفراد العينة حسب المستوى التعليمي والنوع		
النوع / المستوى التعليمي	ذكر	أنثى	المجموع
أمي			
ابتدائي			
متوسط			
ثانوي			
جامعي			
المجموع			

هذا النموذج يحتوي متغيرين ومن الممكن ان يحتوي متغيرات اكثر حسب ما تستدعي الضرورة.

أما تبويب المعلومات فيتم عن طريق تحويل الاجابات الى رموز وأرقام (Coding). فإذا كان السؤال المطلوب تبويب معلوماته يتعلق بالعمر فعلى الباحث معرفة أصغر واكبر عمر في العينة الاحصائية، وذلك من خلال مراجعة اجابات جميع المبحوثين على سؤال العمر في الاوراق الاستبيانية. فإذا كان عدد المبحوثين يتكون من (٥٠) مواطناً وكان عمر أصغرهم ٢٣ سنة وعمر اكبرهم ٧٠ سنة. فالباحث يستطيع تصنيف اعمار المبحوثين الى خمس فئات هي:

٢٠ – ٣٠

٣١ – ٤٠

٤١ – ٥٠

٥١ – ٦٠

٦١ – ٧٠

وبعد الرجوع الى الاوراق الاستبيانية لمعرفة المبحوثين الذي يقعون في هذه المراتب العمرية الخمس يتعرف الباحث على قيم التكرارات Frequencies التي قد تكون على النحو التالي:

فئات الأعمار	التكرارات (الاشارات)	التكرارات	النسبة المئوية
٢٠-٣٠	///// ///// ///// ///// /	٢١	٤٢٪
٣١-٤٠	///// ///// ///// ////	١٩	٣٨٪
٤١-٥٠	////	٤	٨٪
٥١-٦٠	/////	٥	١٠٪
٦١-٧٠	/	١	٢٪
المجموع		٥٠	١٠٠٪

وقبل التوصل الى القيم العددية للتكرارات يضع الباحث مبدئياً اشارات رمزية في حقل التكرارات توضح تكرار المرتبة العمرية. وبعد الانتهاء من وضع الاشارات المناسبة ازاء كل فئة او طبقة عمرية يقوم الباحث بجمعها في حقل خاص كما هو مبين اعلاه. وفي حقل آخر يستطيع استخراج نسبتها المئوية.

بعد ان يتم التبويب او التصنيف وبناء الجداول وتحديد المتغيرات فيها، واختيار الجداول المركبة والجداول البسيطة، واستخراج النسب المئوية لكل منها، ثم اعادة التأكد او تدقيق الجداول إحصائياً، تبدأ مرحلة التحليل الذي يأخذ اتجاهين: الكمي والنوعي. التحليل الكمي يعتمد بشكل اساسي على البيانات والمعطيات الاحصائية في الجداول ودلالاتها. اما التحليل النوعي او الكيفي فيعتمد بشكل اساسي على تحليل النصوص او الوثائق. وقد تعتمد البحوث كلا الاتجاهين او تركز على احدهما اكثر من الآخر.

التحليل الاحصائي للنتائج:

وهو يتطلب جمع المعطيات في جداول ورسوم، ثم فحص علاقاتها وإظهار دور المتغيرات عن طريق توزيع مؤشراتها على جداول ورسوم تبرز خصائصها وتداخلها. فالاجابات التي حصلنا عليها تظهر مختلف حالات المتغيرات، فالذكور والاناث هم متغيرات، وكذلك يمكن ان تكون المهنة، ولكل منها مؤشرات تدل عليها.

هدف هذه المرحلة اختبار فرضيات البحث، علماً انه في حالات كثيرة، يؤدي التحليل المشترك للمتغيرات الى استخراج فرضيات ثانوية مكمّلة وغير منتظرة في بداية البحث، مما يستدعي إعادة النظر في صياغة بعض الفرضيات. فإذا كان متغيران (أ) و (ب) على سبيل المثال، لا علاقة بينهما، مرتبطان بشدة بمتغير ثالث (ج). فكل تبدل يلحق (ج) يطال بالضرورة تبدلات متوازية في المتغيرين الاولين (أ) و (ب). واذا كنا لا نعرف بوجود المتغير (ج) وأهملناه، فإننا نفقد الرابط الذي يجمع ما بين (أ) و (ب) وبالتالي يصبحان متغيرين مستقلين. اما اذا اكتشفنا هذا الرابط في سياق البحث فإننا نصبح أمام مقاربة تحليلية مختلفة.

من الطبيعي ان تكون الاسئلة المغلقة اكثر سرعة في المعالجة الاحصائية من الأسئلة ذات الاجابات المفتوحة، والتي تحتاج معالجتها الى اعادة نظر وتوثيق وتحليل محتوياتها، لاستخلاص كل معطيات الاجابات وتجميعها ثم تصنيفها بشكل يفيد البحث. هذا العمل شاق ويتطلب دقة بالغة لأن التصنيفات يجب ان تتم بدقة كي لا يضيع من المعطيات اي تفصيل قد يفيد البحث. (١).

المعالجة الاحصائية تحتاج الى معرفة بعلم الاحصاء وهي ذات ابعاد متعددة، منها التحليل ذو البعد الاحادي الذي يعتمد الجداول البسيطة او جداول التردداد وبناء الأدلة

١- صابر بو ضرغم: المرجع السابق، ص ١١٦.

(index) او المؤشرات، ويعتمد ايضاً التثقيل وبناء السلالم والمدرجات وهي على أنواع تختلف حسب ما تفرضه حاجة البحث، ففي هذا المثال توضيح لشدة الموقف الذي يتخذه الفرد تجاه شخص آخر من لون مختلف مثلاً:

هل ترضى ارادياً ان يكون أسود:

١-قريباً لك من طريق الزواج. ☐

٢-صديقك الشخصي في ناديك. ☐

٣-جارك في الحي. ☐

٤-زميلك في العمل. ☐

٥-مواطناً في بلدك. ☐

٦-سائحاً في بلادك. ☐

٧-ممنوعاً من الأقامة في بلدك. ☐

هذا النوع من السلالم يظهر ان المسافة إرتفعت تدريجياً تبعاً للموقف. فالرقم ٧ أقل تسامحاً مما سبقه. وهناك التحليل الثنائي والذي يعتمد المتغيرات المستقلة والتابعة والجداول المركبة ذات المدخلين. وهناك التحليل المتعدد الابعاد ويستعمل في دراسة الجداول ذات الثلاثة مداخل او اكثر.

تحليل الوثائق:

إن قسماً كبيراً من المعلومات المتعلقة بكل فرد يتم تدوينه منذ اليوم الأول لولادته، وهي تستمر لسنوات مجمعّة في مؤسسات مختلفة ومتنوعة، يستفيد منها المؤرخون بالدرجة الأولى، لكن ايضاً يستفيد منها السوسيولوجيون وخاصة في حقل التاريخ الاجتماعي. يمكن تصنيف الوثائق بعدة اشكال: أصلية أو نسخ، مؤلفات من المخيلة او

تحقيقات، مصادر الدرجة الأولى او الثانية، وبالتالي فإن الأنماط المختلفة للوثائق تبين مدى التنوع الذي يمكن ان تقدمه للتحليل السوسيولوجي.

فهناك الوثائق المتعلقة بالفرد والتي تهم عالم الاجتماع مثل الرسائل والمجلات والسير الذاتية، قصاصات الصحف، الزواج والطلاق الولادات، التسجيلات، علامات الامتحان، الشهادات، التوصيات، الملفات الشخصية، تقارير العمل، محاضر الاجتماعات، الخطابات، التقارير الادارية السجلات على انواعها، كشوفات الحسابات. عندما تجمع مثل هذه الوثائق تصبح مفيدة في دراسة الجماعة (الأمثال والأغنيات الشعبية والعادات والتقاليد الالبسة، الاحتفالات...).

أما الوثائق الشخصية فهي المحفوظة فقط تحت تصرف مؤلفها، او لعدد صغيرين من الاشخاص مثل المفكرات والمراسلات الخاصة بينما الوثائق العامة هي تلك الموجهة لكي تعرض على كل الناس مثل الكتب والمجلات...

أما الوثائق الرسمية فهي تلك الصادرة عن مؤسسات او جهات تجتهد في ضمان مصداقية المعلومات المجمعة فيها وتؤمن المحافظة عليها. مثل السجلات والشهادات العلمية وشهادات الزواج وجوازات السفر وكشوفات الحسابات.

اما التمييز بين وثائق الدرجة الأولى ووثائق الدرجة الثانية فهو يمثل احد التصنيفات الكلاسيكية. ان وثيقة الدرجة الأولى هي العرض الأصلي لمعلومات مأخوذة بدون وسيط، بينما تحتفظ وثيقة الدرجة الثانية بمعلومات ناتجة عن وثيقة او عدة وثائق اولية وليست مأخوذة من خلال التجربة او الملاحظة الشخصيتين وإنما من خلال وسيط او عدة وسطاء. والمبدأ الأساسي في التحليل الوثائقي هو تفضيل المصادر المباشرة في كل مرة تكون متوفرة فيها، اي الاستعلام حول حدث من خلال مصدر قريب من الحدث قدر الامكان.

وأخيراً يمكن التمييز بين الوثائق المكتوبة، والوثائق المحفوظة والوثائق الشفهية والوثائق المسموعة والوثائق المرئية. تتألف الوثائق المكتوبة من رسائل أو غيرها من الرموز وهي قد تحفظ وتنقل على ورق أو تنقش على الخشب أو تحفر على الخزف والحجر. اما الوثائق البيانية فهي تأخذ شكل رسوم. اما الوثائق الشفهية فهي حديثة الظهور. فهي تسمح بالاحتفاظ بالكلمات وغيرها من المصادر الصوتية. بل ان الوثائق المرئية والمسموعة أصبحت الآن من الوثائق الهامة التي تؤرخ لمختلف الاحداث سنوياً(١).

ان نتائج التحليل الوثائقي على أنواعه يعبر عنها غالباً بشكل غير كمي، فمن خلال تحليل عدد كبير من الوثائق المتنوعة، واظهار بعض عناصرها المتكررة يمكن دراسة بعض الظواهر دون الاعتماد على تكميمها، وذلك من خلال دراسة السير والرسائل الشخصية، كما فعل توماس وزنانيكي في ''الفلاح البولوني'' الا ان التحليل الوثائقي السوسيولوجي يسمح للباحث بإستخراج معطيات احصائية من مجموعة من الوثائق. خاصة اذا كانت هذه الوثائق تغطي ظاهرة معينة في مرحلة معينة او تعيد رسم إطارها من جديد. ومن ابرز الادوات التحليلية المستخدمة في هذا المجال ''تحليل المحتوى''

تقنية تحليل المحتوى (Content analysis):

غالباً ما تعتمد دراسات تحليل المحتوى او المضمون على بيانات او مادة إتصالية متاحة في السجلات والمكتبات والاعمال الادبية والفنية والخطابات والرسائل والصحف والمجلات والاذاعات او التلفزيونات وغيرها من مصادر المعلومات التي لا يقوم الباحث بجمعها بنفسه. وهناك اتجاهان في تحليل المحتوى:

١- تيودور كابلو: المرجع السابق، ص ١٥٦

الاول يعتمد المقاربـــــــــة النوعية او الكيفية، وهو يعتمد على تحليل النصوص كلاسيكياً، ولا يلجأ الى أي نوع من القياســـات الكمية. فهو يهتم بـــالدرجة الاولى بإظهار دلالات النصوص او الوثائق، الظاهر منها والمســـتتر، معتمداً على التسلســـل المنطقي والتحليل العقلاني للوثيقة، مستخرجاً منها الأفكار الرئيسية التي تقـــوم عليها الوثيقة او النص، مميزاً بينها وبين الافكار الفرعية، بغض النظر عن تكرار هذه الافكار. فالمهم هو موقعها في تركيبة النص ودلالتها في بنية النص المنطقية. هذا النوع من المقاربة يحتاج الى خبرة بحثية وتحليلية، لكنها مقاربة تشكوا في كل الاحوال من الذاتية. ذلك ان تمييز ما هو جوهري وما هو عرضي، ما هو رئيسي وما هو فرعي، يظل خاضعاً لأفكار الباحث ومرجعيته الثقافية وآرائه المسبقة. هذه المقاربة تفتقد الى المعيار الموضوعي بـــين قراءات الباحثين المتعددة للنص او الوثيقة الواحدة، وبالتالي فإن هذه المقاربـــة لا تصلح للعمل الجماعي.(١)

الثاني يعتمد المقاربة الكمية لتحليل المحتوى. وهي المقاربة التي يعود اليها الفضل في اعتبار ''تحليل المحتوى'' تقنية علمية معتبرة. ومعها اصبح تحليل المحتوى ''اسلوباً للبحث يهـــدف الى الوصف الكمي الموضوعي والمنظم للمحتوى الظاهري للنص او الوثيقة او الاتصال'' وذلك من خلال تكميمه. بعد ذلك يعود طبعاً للباحث التفسير والتأويل.

نشأت هذه الطريقـــة خلال الحرب العالمية الثانية وتبـــلورت على يد الباحـــث الاجتماعي الاميركي لاســـويل (H. Lasswell) الذي درس خلال الحرب المذكورة المسألة التالية: ''الى أي حد يمكن اعتبار بـــعض الصحـــف الاميركية مروّجة للدعاية الالمانية'' ومن اجل ذلك قام لاسويل بتحليل مضمون مقالات هذه الصحف. ورصد لمدة معينة المسائل والموضوعات التي تعتمدها الاذاعة الالمانية في بث دعايتها. فميّز ١٤

١ – انظر مجلة العلوم الاجتماعية، الصادرة عن معهد العلوم الاجتماعية في الجامعة اللبنانية، العدد الرابع. ١٩٩٧. ص ١٨٩

موضوعة أساسية. ثم قارن بين هذه الموضوعات وبين المقالات التي تكتبها الصحف الاميركية التي أخضعها للدراسة مفترضاً انها تروّج للدعاية الالمانية. (١)

وكان سبقه بيتريم سوركين (P. Sorkin) حين درس التغيرات الثقافية والاجتماعية في اورربا الغربية على طول تاريخها. واعتمد الى حد كبير على الاعمال الفنية والموسيقى والآداب والفلسفة في ضوء ما تنطوي عليه هذه الاعمال من دلالات ومعانٍ. لكن مع لاسويل وزملائه تطور تحليل المضمون لدراسة الرأي العام والدعاية. وهكذا ظهر مفهوم الاتصال الجمعي (Mass Communication) ليتناول دراسة الرموز الاساسية في المجال السياسي ودلالاتها وتكراراتها، والتأثير في الجماهير، ودراسة القيم الكامنة خلف عملية الاتصال.اما استخدامات تحليل المحتوى فهي على عدّة مستويات منها:

أ - دراسة عملية التفاعل: إذ يقوم الملاحظون بطريقة غير مباشرة بتسجيل وتصنيف التصرفات والأفعال التي تصدر عن اعضاء الجماعات الصغيرة اثناء قيامها بحل احدى المشكلات.

ب - استخدم تحليل المحتوى في العمليات العلاجية، في مجالات الخدمة الاجتماعية والطب النفسي، حيث وضعت فئات لتحليل السلوك في ضوء مبادىء علم النفس، لتتبع العلاقات بين العميل والمعالج خلال عملية المقابلة.

ج - دراسة الحالة النفسية لصاحب الرسالة والتي تدل عليها بنية الرسالة وترداد بعض الكلمات والعبارات والصفات وصيغ التأكيد.

د - دراسة الشخصيات التاريخية من خلال تحليل مضمون كتاباتها وأقوالها.

هـ - دراسة الثقافة والمجتمع من خلال محتوى نصوص وانتاج ثقافي في مجتمع محدد

1-Harlod D. Lasswel et Nathan Leites, the language of politics: studies in Quantitative semantics, New york, stewart, 1949

خلال فترة زمنية.

إن تقنية تحليل المحتوى تعتمد على بيانات او مادة اتصالية متاحة في السجلات والمكتبات، في الاعمال الأدبية والفنية المختلفة والرسائل والخطابات والصحف والاذاعات والتلفزيون. وليس من شكك في ان هذه الطريقة تحقق بعض الفوائد ففيها اختزال للجهد والوقت لأن الباحث سوف يتجه مباشرة نحو التحليل بدلاً من تضييع وقته في جمع المعلومات.

يستخدم الباحث طريقة تحليل المحتوى في قياس مفاهيمه حينما تكون هذه المعلومات انماطاً ملموسة للاتصال ببعض الأشخاص. وتعني طريقة القياس ملاحظة بعض انماط الاتصال وتسجيلها ثم تصنيفها الى فئات ذات دلالة، وفقاً لبعض المؤشرات، وتحليلها احصائياً بعد ذلك. وهناك انواع مختلفة من المقاييس المستخدمة في طريقة تحليل المضمون، وعموماً فإن هذه المقاييس اجراءات تجعل عملية القياس عملية مركبة أكثر منها بسيطة. فعلى الباحث ان يقوم بتحديد فئات التحليل ووحدات التكميم وترميز كل منهما.

وقد استعمل تحليل المحتوى لدراسة الادب الديني، الثقافة الشعبية، المحتوى حسب الموضوع، الملاحظات المتروكة من قبل منتحرين والبحث عن الابوة الادبية ل "مؤلفات مجهولة". ان تجميع المعطيات هو سهل وقليل الكلفة. ويمكن تحليل المعطيات عدة مرات اذا كان ذلك ضرورياً، مما يسمح بتحسين امانة ومصداقية النتائج. ويمكن لتحليل المحتوى ان يستعمل في تكميم المعلومات المحصلة من الاستمارات ذات الاسئلة المفتوحة ومن المقابلات العيادية. (١)

ان تكميم النص او المحتوى الاتصالي يقتضي اختيار وحدة لتكميم وفئة التحليل.

١- تيودور كابلو: المرجع السابق، ص ١٦١.

فوحدة التكميم هي ذلك الجزء من المضمون الذي نعتمده في عملية التعداد او القياس للتكرارات. فمثلاً اذا كنا ندرس مضمون صحيفة وقمنا بتعداد المقالات المكرسة للسياسة والرياضة والتحقيقات والفن والمتفرقات، فإن المقال هنا يعتبر وحدة التكميم. ان تنوع وحدات التكميم موضوع واسع، ويعود لتنوع المواضيع المدروسة. ففي بعض الأحيان قد تكون الكلمة الواحدة هي وحدة تكميم: هكذا عمد بعض الباحثين الاميركيين الذين درسوا الشعارات التي ترفع في الاتحاد السوفياتي (السابق) بمناسبة اول أيار، فقد عمدوا الى رصد الكلمات الرئيسية التي ترد في هذه الشعارات، والى تصنيفها الى صنفين: رموز ثورية (ثورة، حزب، بروليتاريا...) ورموز قومية او وطنية (وطن، بلاد، حدود، أمن...) فتبين لهم ان استعمال الكلمات من الصنف الثاني قد تكاثر بصورة منتظمة ابتداء من عام ١٩٣٣ ووصل الى قمته في فترة ١٩٤٠-١٩٤٢.

وقد يلجأ بعض الباحثين الى وحدات تكميم مادية مثل عدد الاسطر او عدد الصفحات او الاعمدة في الصفحة الواحدة، او عدد الوثائق في الاذاعة او التلفزيون، والنصوص المسجلة.

اما تحديد فئات التحليل فهي عملية دقيقة، تتوقف عليها طبيعة ودقة النتائج المستخلصة. فهي تتطلب تحديد التصنيفات في الخانات التي سيتوزع عليها المضمون بعد تقطيعه الى وحدات تكميمية. كما نلاحظ في هذا الجدول كمثال عن تحليل الصحف (وحدة التكميم هي المقال):

	١٩٥٠	١٩٧٠	١٩٩٠	٢٠٠٠
أخبار خارجية	٤٢٠	٤٣٠	٥٠٠	٦٥٠
افتتاحيات	٢٠٠	٢٥٠	٣٥٠	٤٥٠
أخبار محلية	٦٥٠	٨٤٠	٩٣٠	١١٢٠
رياضية	٩٠	١١٠	١٨٠	٢١٠
ثقافة	١٥٠	٣٠٠	٣٥٠	٤٥٠
فن	٨٠	١٢٠	١٣٠	٢٢٠

فئات التحليل متنوعة جداً بإختلاف الوثائق او المادة المدروسة وبإختلاف أهداف البحث. وهو أمر يعود لاستنساب الباحث ايضاً. ففي دراسة كان موضوعها المفردات التي يستخدمها الجنرال ديغول في خطاباته. إعتمد الباحثان اللذان قاما بالدراسة خانتين او فئتين وزعا عليها الجمل التي استعمل فيها الجنرال كلمة ''نـــــــحن'' والجمل التي استعمل فيها كلمة ''انا'' او ضمير المتكلم. وفي دراسات اخرى استعملت أحكام قيمية كانت النصوص المدروسة تحفل بها من نوع: العدالة الاجتماعية، الروح الوطنية، الدفاع عن السلم...

في الخلاصة إن اختيار الفئات يعتمد اساساً على الأسئلة التي نطرحـــها على الوثائق او النصوص المدروســـة. لذلك يجب ان يكون اختيارنا واضحـــاً ومحدداً، وذا طبـــيعة حصرية، ولا يدع مجالاً للالتباس او الاجتهاد كما يجب ان يكون ذا صفة استنفاذية، اي يجب ان تستنفذ المضمون بأجمعه.(١)

ومن أهم الاجراءات في تحليل المحتوى، تحديد وضع الفئات التي ســيتم في ضوئها تحليل المادة المدروسة. وتستخدم، كما يفضل بعض الباحثين، القـــاعدة التي اعتمدها ''لاسويل'' عن الفئات والتي تختصرها هذه العبارة:

{Who, says what to whom, how and with what effect}

أي : من يقول وماذا يقول، ولمن وكيف، وما هي النتائج؟ إن الإجابة على هذه الأسئلة تساعد على انجاز المرحلة الأخيرة من تحليل المحتوى وهي مرحلة التأويل والتفسير والتي تتجاوز المعطيات المكممة لتغطي جوانب البحث بكامله حسب الاهداف والفرضيات المطروحة.

١- مجلة العلوم الاجتماعية، المرجع السابق، ص ١٩٨.

التفسير السوسيولوجي لنتائج البحث:

التفسير السوسيولوجي للمعطيات والبيانات الاحصائية خطوة موضوعية نحو التعميم، وعن طريقه يمكن للباحث ان يبيّن العوامل المؤثرة في الظاهرة المدروسة والعلاقات التي تربطها بغيرها من الظواهر. وبدون التفسير السوسيولوجي تصبح المعطيات مجرد تجميع لمعلومات لا معنى لها. ان تحويل الرقم او المعطى الاحصائي الى معطى معرفي واجتماعي محدد يستهدف معالجة اشكالية البحث واختبار فرضياته، وينقل البحث من الحالة الوصفية الى الحالة التفسيرية او التعليلية.

لذلك ينبغي ان يعمد الباحث بعد جمع المعطيات وتحليلها احصائياً، الى تفسيرها وتعليلها سوسيولوجياً. ونستخدم كلمة "تعليل" بمعنى تبيان او كشف سبب حدوث ظاهرة معينة. وللوصول الى هذه الاسباب يعمد الباحث الى تحليل معطياتها ومقارنتها، وهذا يتطلب منه ثقافة معمقة في الدراسة التي يقوم بها، اضافة الى الثقافة العامة في تخصصه لكي يستطيع اختبار فرضياته ويحلل نتائج دراسته في ضوء الاطار النظري الذي وضعه في بدايتها. ويتطلب الأمر ايضاً مقارنة ما توصل اليه مع نتائج الدراسات السابقة المشابهة لجهة تأكيد نتائجها او مخالفتها.

ومهما تنوعت التحاليل الاجتماعية فهي لا يجب ان تهمل في ما تقدمه من تفسيرات النقاط التالية:

-تشخيص الارتباطات بين المتغيرات.

-تحديد أبعاد المقارنة بين فئات مجتمع الدراسة.

-توضيح درجة إرتباط الاجزاء بالكل، او الكل بالأجزاء.

-تبيان أثر حضارة أو ثقافة معينة في أنماط سلوك أفرادها. (١)

١- معن خليل عمر: الموضوعية والتحليل في البحث الاجتماعي، دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٩٨٣، ص ٢٢٦

يتطلب تحليل المعلومـــــات التعامل معها وفق معطياتها وعلل وجودها، لا ان تحلل بمعطيات خارجـــــه عنها، لذلك يجب ان ينصب التحليل على الموضوع لا على ما هو خارج عنه. وينبغي بالتالي ربط المتغيرات ذات العلاقة بالظاهرة مباشرة والتركيز عليها وتبيان المستقل منها والتابع، وآثار كل منها سواء كانت ايجابية او سلبـــية. فإذا إفترضنا ان الصحة متغير مستقل، وان ارتفاع المستوى الصحي بين أفراد المجتمع، يؤدي الى زيادة الانتاج، فإن زيادة الانتاج متغير تابع، لأنه مترتب عليه، او ناتج عنه، واذا كانت الحالة الصحية لأفراد المجتمع جيدة بسبب ارتفاع نســــبة التعليم، فإن التعليم في هذه الحالة يكون، هو المتغير المستقل، وتكون الحالة الصحية هي المتغير التابع. المتغير المستقـــل اذن هو الذي يؤثر في متغير آخر، يكون نتيجة له احياناً.

التحليل العلمي لا يؤمن بالمطلق الذي لا يثبت، بل هو يؤمن بأن الأشياء نسبـــية، قابلة للاثبات الموجب او الاثبات السالب، وقابلة لعدم الاثبات، وان كل شيء ينبغي ان يحلل وفق معطياته. اذن التحليل عملية عقلية تستند الى معطيات، تستهدف معرفة طبيعة المشكلة والعوامل المؤثرة فيها، وهو حلقة وصل، او جسر يربط ما بين مرحـــلة تجميع المعلومات والبيانات وبين مرحلة الوصول الى النتائج.

عناصر التحليل والتفسير:

أ - الكشـــــف بالظاهر والكامن: ليس كـــل ظاهر واضح، ذلك ان الكثير من الظواهر تحتاج الى توضيح. والانســـان كقـــيم وفضائل ورذائل كامن في الانســـان كشـــكل. وعليه فالانسان كشكل ظاهر يصعب الحكم عليه بأنه خيّر او شرير الا بعد قيامه بسلوك وأفعال يمكن قياسها ومقارنتها سلباً او ايجاباً. لذلك فدراسة الظاهر قد لا تكون غاية في ذاتها، بل الغاية فيما وراءها.

ب – الشك: وهو عملية عقلية ضرورية للتحليل، وهي تتم بشكل واع بهدف البحث والتقصي والتتبع الدقيق للمسببات. ويستمر الشك العلمي الى ان يصل الباحث الى الثقة في المعلومات التي توصل اليها والنتائج التي اثبتها التحليل العلمي. اذن يستخدم الشك من أجل اليقين، وليس من اجل الشك في حد ذاته، فالباحث يشك من اجل ان يقبل او يرفض بوعي ومعرفة.

ج – الاحتواء على السابق: اي ان التحليل يجب ان ينطلق من أن الزمن الحاضر يحتوي على كل الماضي بالفعل، وينطلق الى المستقبل بالقوة، فلو لم يكن هناك ماض ما كان هناك حاضر. لذلك يجب ان ينطلق التحليل والتفسير الحاضر من الماضي من أصل الظاهرة ويرصد سيرورتها وتطوراتها وبيئتها. اي كل ما يشمل خلفيات الظاهرة.

د – ربط الداخل بالخارج: فالافكار والمعلومات تنتقل من الداخل الى الخارج، او من الخارج الى الداخل. فالظاهر للحواس الخارجية ينتقل الى العقل. والمتخيل بالعقل ينتقل الى الحواس الخارجية فيحدث التبادل من أجل استكمال المعلومة او الفكرة، ويرتبط الجوهر بالصورة.

هـ – الاتصال والتواصل، فالافكار والمواضيع تتصل في سياق مع بعضها من أجل الاكتمال. ولا يمكن تحليلها علمياً الا عندما يتمكن الباحث من معرفة نقاط الاتصال والترابط والسياق المنطقي الذي ينقله من الكل الى الجزء، او من الجزء الى الكل عند محاولته التعرف الى الاسباب والمسببات الكامنة والظاهرة لما يدرسه ويتابعه بالتحليل والتفسير. ولا يمكن للباحث ان يتوصل الى تشخيص او تفسير ملائم للظاهرة التي يدرسها ما لم تكن افكاره متصلة متناسقة ومترابطة وإلمامه بالموضوع متكاملاً.

و – الكل والجزء: الكل هو المشتمل على الجزء، فالانسان كمفهوم كلي يختزل كل البشر. وعليه يكون التحليل الكلي عمومياً لا دقة فيه، ولكن مع ذلك ينبغي ان نهتم

بالكل من أجل معرفة الاطار الذي يقبع فيه الجزء، بقدر ما ينبغي الاهتمام بالجــزء من أجل التعرف على الكل.

وهناك من ينتقل في تحليله من الكل الى الجزء، وهناك من ينتقل من الجزء الى الكل، وهذه طرق واساليب لا ينبغي ان تقولب، ويترك للباحث تقدير ذلك.(١)

وهناك اضافة المتجزّىء الى الجزء، فكل انسان له أسم، فالقول ان فلان هو المقصود قد لا يكفي لتمييزه، لذلك يجب كتابة اسم الأب او اللقب والعمر الخ... وذلك بهدف ان يكون التحليل في تتابع من الكل الى الجزء الى المتجزىء او بالعكس. مع التنبه الى ما يمكن ان يتداخل بــينها من تغيرات. فكلمة ذكر تتداخل فيها عدة انواع تشـــترك بالذكورة (البشر والحيوانات والطيور).

ز – المقارنة : يتعمد التحليل المقارن على المعلومات المتوفرة، ووفق معطيات ذات خصائص او صفات او كميات. وتكون المقارنة بين المجرد والمجرد. وبــين المحســوس والمحسوس، وبين المشــاهد والمشــاهد، مع مراعاة الظرف المكاني والزماني عند تحليل المعلومات والبيانات. فما هو مقبـــول ومنطقي او مفضّل في مكان من الامكنة، وفي زمن من الأزمنة وقد لا يكون كذلك في مكان وزمان آخر. وعند التحليل المقارن ينبغي مراعاة أن كل نوع لا يقارن إلا بنوعه او جنســه فالعادات والتقــاليد تقــارن بمثلها، وكذلك الموضوع يقارن بمثله من حيث المعنى والمفهوم ويقارن السبب بالسبب والنتيجة بالنتيجة والاقتصاد بالأقتصاد الخ...

تهدف المقارنة الى التقريب او التبــعيد وفق المقــاييس المقــارن بها، فإذا قــارن الباحث العادات والتقاليد في الريف بين جيلين، او بين منطقــتين، فيجوز ذلك، لأن

١– ماهر عبد القادر محمد: فلسفة العلوم "المشكلات المصرفية"، دار النهضة العربية، بيروت، ج٢، ١٩٨٤ ص ٢٢٩ – ٢٣١.

المقارنة الموضوعية والعلمية تكون بين خصائص وصفات مشتركة. فالمقارنة كاسلوب علمي يستهدف ابراز نقاط الاتفاق والاختلاف، تستوجب إيجاد مقاييس كي يمكن التعرف على كمِيات او كيفيات يمكن مقارنتها، وبدون ذلك تصبح المقارنة بلا جدوى.

ويمكن للتحليل السوسيولوجي ان يقدم اكثر من مقاربة منهجية للظاهرة، وعلى الباحث ان يختار التحليل الافضل الذي يقدم تفسيرات أوسع وأشمل وأكثر دقّة للظاهرة المدروسة. ونقصد بالمقاربة approch منحى أو منظومة التحليل السوسيولوجي واتجاهاته.(١)

ومن أهم هذه المقاربات:

أ - المقاربة السببية: وهي تستخدم لدراسة الظواهر والمشكلات الاجتماعية صغيرة الحجم او قريبة المدى، كجنوح الاحداث او الطلاق وما شابه. وتعتمد على المعطيات الاحصائية وتشخيص اسباب الظاهرة او المشكلة، ونادراً ما تستخدم الوثائق التاريخية في هذا التحليل، لأنه يركز على تحليل الوقائع المعاصرة المستخلصة من أقوال وأفكار وسلوك المبحوثين عن طريق الاستبيان او المقابلة او الملاحظة بالمعايشة.

وهناك علاقات ومفاتيح تحليلية في هذا النوع من المقاربة، فهناك دراسة المتغيرات التي ''تتوقف على'' نوع التفاعل الاجتماعي ودرجته. فمثلاً نلاحظ ان هناك علاقة قوية بين عمالة الاطفال الذكور، وفقدان احد الابوين. او تفكك الاسرة، او هجرتها من الريف الى المدن. مما يعني ان عمالة الاطفال ''تتوقف على'' نوع الجنس، تفكك الأسرة والهجرة من الريف الى المدن.

١ - أحمد زكي بدوي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ١٩٧٧، ص ٢٤

وهناك دراسة الظاهرة التي ''تشمل على'' عدة متغيرات دون ان يعتمد بعضها على بعض. فظاهرة عمل المرأة مثلاً تتضمن عدة متغيرات مثل: ارتفاع دخل الاسرة، تغير في نوعية تربية الابناء، قلّة الانجاب وغيرها. لكن جميع هذه المتغيرات التي تتضمنها ظاهرة عمل المرأة خارج المترل لا تسبب الظاهرة نفسها، مما يتطلب تفسير العلاقة بين متغير السبب ومتغير النتيجة، واتصال متغير السبب بمتغيرات اخرى، كما في حالة التغيّر الذي يطرأ على مكانة الفرد ودوره الاجتماعي كلما زادت درجة الحراك الاجتماعي والعكس صحيح ايضاً، أي ان هناك اعتماداً متبادلاً بين السبب والنتيجة.

ب - المقاربة البنائية - الوظيفية يستند هذا التحليل الى فكرة الكل الذي يتألف من أجزاء، ويقوم كل جزء منها بإداء دوره وهو معتمد في هذا الاداء على غيره من الأجزاء. ومن ثم يقوم التساند الوظيفي بين الاجزاء، وبعضها، او بين الاجزاء والكل. وفي هذا المعنى، تكون ظاهرة مجتمعية ما محددة بمجموع الظاهرات المجتمعية الاخرى، وبالعلاقات التي تقيمها مع غيرها من الظاهرات.

ومن الأمثلة على التحليل الوظيفي (Functional) الدراسة الشهيرة التي قدمها روبرت مرتون (Robert Merton) حول الماكينة السياسية الاميركية التي وان لم تتصف بالصفة الرسمية والحقوقية، فهي تتجاوز في فعلها وتأثيرها اللعبة الانتخابية التقليدية، لتحل على الصعيد الاقليمي والمحلي محل ''الضمان المجتمعي''، وهي تمثل قوة ضغط على الهيئات الحكومية لتأمين مصالح ارباب الصناعة. (١)

ان التحليل الوظيفي شائع ومنتشر ومستعمل بكثرة في البحث الاجتماعي الامبيريقي الذي يقوم على الدوام بتبيان الروابط والعلاقات بين ظاهرتين مجتمعيتين او اكثر. انه جزء لا يتجزأ من كل طريقة علمية، وخطوة يخطوها كل باحث مهتم

١- عبد الله ابراهيم: علم الاجتماع، السوسيولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، بيروت، ط١ ٢٠٠١، ص ٢٠١.

بإستنباط الثوابت والقوانين. وغالباً ما يرتبط التحليل الوظيفي بالتحليل البنائي (Structural). ذلك ان مكونات البناء الاجتماعي تتكون من مجموعة نظم (اجتماعية، سياسية، اقتصادية، دينية...) وكل نظام يتكون من مجموعة أنساق، وكل نسق يتكون من مجموعة أنماط، وكل نمط يتكون من السلوك الاجتماعي، والتحليل الذي يوضح العلاقات التبادلية بين الانظمة والانساق والانماط لصالح البناء الاجتماعي، وليس فقط لصالح مكوناته، هو التحليل البنائي.

يتبين من هذا العرض ان مفهوم ''الحاجة الاجتماعية'' يلعب دوراً هاماً في هذا التحليل، حيث ينظر اليه كدافع أساسي في إحداث التكامل والتضامن الاجتماعي الذي بدوره يعمل على تشكيل النظام الاجتماعي داخل البناء. اما تحقيق وظائف البناء فتكون بواسطة الاعراف والعادات والتقاليد والمعتقدات الاجتماعية.

يهتم التحليل البنائي والوظيفي، بدراسة التنظيمات الاجتماعية غير الرسمية ايضاً، مثل بناء ووظيفة الاسرة والقبيلة والعشيرة، اكثر مما يهتم بدراسة الروتين الاداري وعملية اتخاذ القرارات والجماعات الضاغطة في التنظيمات الرسمية. ويهتم بمنظمات سلوك أفراد التنظيمات غير الرسمية من خلال وسائل الضبط الاجتماعي كالاعراف والعادات والطرائق الشعبية والآداب العامة والمحرمات والطقوس والشعائر والمراسم الدينية. فنبذ الفرد من مجتمعه (بسبب مخالفته لمحرماته مثلاً) أقسى من فصل الموظف من مكتبه الرسمي. فالتحليل البنائي - الوظيفي يقوم بشرح الضوابط الاجتماعية وتفسيرها ليبين وظائفها الاجتماعية بالنسبة للفرد والمجتمع والبناء الاجتماعي بالوقت نفسه (١)، مستخدماً التفسير الغائي، اي تفسير الاشياء من خلال أغراضها وأهدافها الاجتماعية بدلاً من تشخيص مسببات وجودها.

١- عدنان أحمد مسلم: البحث الاجتماعي الميدان، منشورات جامعة دمشق، ١٩٩٤، ص ٩٠.

وبالاضافة الى المفهومات السوسيولوجية السابقة استخدم رواد هذه المدرســة من الجيل الثاني مفهومات جديدة مثل الخلل الوظيفي Dysfunction، التوازن الاجتماعي Social equilibrium، الوظيفة الكامنة والظاهــرة Latent and manifest functions، تحقــيق الهدف Goal achievment، المحافظة على النمط pattern maintenance، التكيف والمواءمة Adaptation، وغيرها من المفاهيم الاخرى التي بدت أنها تحرص على تأكيد الترعة المحافظة واعادة التوازن في المجتمع.

ج - المقاربــة المادية التاريخية: (Historical materialism) وهي ترتبــط بمؤسسها كارل ماركس K. Marx وتنطلق من الفكرة الايديولوجية القائلة بأن المجتمع الحديث يتكون من بنائين هما: البناء الفوقي Super structure والبناء التحتي Infra structure ويتمثل النوع الأول من البناء في نسق الافكار والمعتقدات والقيم السائدة ويتمثل النوع الثاني بقوى وأدوات الانتاج، ومن يسيطر على أدوات الانتاج يســيطر على الافكار والمعتقدات السائدة. أي ان البناء الأول هو انعكاس للبناء الثاني.

تثبت المادية التاريخية فكرة الصراع Conflit idea والتي توجد كقــانون بــين الطبقات الاجتماعية، وهو قانون لا مهرب منه، فهو موجود منذ ان ظهر الانسان على سطح الأرض او منذ ان عرفت المجتمعات البشرية حــياة الاستقــرار، وهذا الصراع الطبقي ازداد بشكل فعال في المجتمع الرأسمالي. ان تحديد علاقات الانتاج، وموقع القوى الاجتماعية في هذه العلاقات، يحدد طبيعة الصراع بين من يملكون ومن لا يملكون، وهو صراع لا يمكن الا ان يستمر الى الأبد، حتى الغاء الملكية. ان المقاربة المادية التاريخية تعني قراءة التناقــضات الاجتماعية وفق قــوانين الصراع الطبقــي في المجتمعات الرأسمالية. وبالتالي فإن كل وسائل الانتاج والتكنولوجيا ووسائل الاعلام والاتصال والمؤسسات التعليمية والدينية والاقتصادية عموماً، موجهة لخدمة مصالح الطبقــة المهيمنة، التي هي

الطبقة الرأسمالية، التي تملك مكونات الانتاج الثقافي وتعمل على توجيهه لمصالحها من جهة، ولخلق طبقة من العمال تعمل بصورة مستمرة في مؤسساتها ومصانعها وشركاتها. ويؤدي هذا التحليل الى ان الافراد ينتجون أفكارهم المختلفة كما ينتجون وسائل وجودهم وعلاقاتهم الاجتماعية، لذلك نرى هناك وعياً خاصاً بالطبقة الحاكمة وآخر بالطبقة العمالية وآخر للطبقة الوسطى.

وبالاضافة الى المقاربات السابقة، هناك مقاربات عديدة يمكن للباحث ان يلجأ اليها في التحليل، إذا ما وجدها اكثر فائدة لدراسة الظاهرة او انها تساهم في كشف ابعاد جديدة عنها، ومنها على سبيل المثال المقاربة الفينومينولوجية Phenomenology Approach وهي التي تركز على دراسة نسق المعرفة وتحليل المعاني والافكار والتصورات او ما يعرف عموماً بالدراسة الظاهراتية والتي تعتبر أن ظاهرة ما لا تفهم الا باعتبارها مركبة من ظواهر أخرى أو داخلة في تركيب ظواهر أخرى. ان هذه المقاربة ليست الا وسيلة لاستخلاص ما نلاحظه في الواقع لفهم جوهر الاشياء وتحليلها وربطها بالصورة الذهنية والعقلية للأفراد بطريقة علمية مدروسة. وهناك المقاربة التفاعلية الرمزية Symbolic interaction approach والتي تمتد جذورها الى اسهامات علماء النفس الاجتماعي امثال جورج ميد G. Mead وتشارلز كولي C. Cooly والذين اسهموا في استخدام المدخل السلوكي في دراسة الظواهر الاجتماعية (١)، وازدادت أهمية هذه المقاربة مع ما أفرزته مظاهر الحياة الاجتماعية الحديثة من مشكلات ومظاهر على كل من الفرد والاسرة والمجتمع المحلي والعالمي ايضاً. فقد تباينت البناءات الاجتماعية وتغيرت سيكولوجية الافراد وانماط الشخصية وتعددت المشكلات النفسية العصريه، واختلفت المؤثرات الفكرية والثقافية والاخلاقية والتربوية التي توجد في

١ - عبد الله محمد عبد الرحمن: علم الإجتماع النشأة والتطور، دار المعرفة الجامعية الاسكندرية، ١٩٩٩، ص ١٢٧.

المجتمع الحديث، الأمر الذي جعل من الضروري تبني مداخل ومقاربـــات سوســـيو-سيكولوجية متطورة في دراسة مثل هذه التغيرات.

الفصل الخامس

الصياغة النهائية للبحث

الهدف من الصياغة النهائية للبحث تقـديمه كعمل علمي واضح ومنظم، تتوفر فيه كل الشـروط الاكاديمية من حـيث الصياغة والترتيب والمراجع المدعمة بالرسـوم والجداول التي تشرح الظاهرة المدروسـة. مع التذكر ان الصياغة النهائية تعني العرض المتكامل وليس العرض المتراكم للمعلومات المجمّعة

-وفي كتابة المسودة يجب مراعاة التالي:

- الكتابة على وجه واحد من الورقة مع ترك هامش فارغ في الصفحة لملاحـظات الاستاذ المشرف.
- التمييز ما بين اقسام البحث وإعطاء كل قسم العنوان المناسب.
- استعمال حبر اسود او أزرق وليس قلم رصاص، مع خط واضح.
- وضع الافكار المقتبسة او المقمّشة بين مزدوجين كما جرت الاشارة لذلك.
- ترقيم الجداول والصفحات.
- يستحسن الاتفاق مع المشرف حول الاسلوب الذي يفضله، فبـعض الاسـاتذة يفضلون الاطلاع على كل فصل وابداء الملاحظات حـوله، وبـعضهم الآخر يفضل

الاطلاع على كل قسم من أقسامه، وبعضهم يفضل الاطلاع على العمل كاملاً وابداء الملاحظات كلها دفعة واحدة.

في الصياغة النهائية للبحث:

بعد الاطلاع على ملاحظات الاستاذ المشرف يمكن للصياغة النهائية أن تأخذ مجراها الطبيعي. وينبغي خلالها مراعاة المسائل التالية:

-تكتب صفحة الغلاف وهي تتضمن عادة إسم الجامعة التي ينتمي اليها الباحث، واسم الباحث كاملاً، عنوان البحث الاساسي والفرعي، مادة البحث او الفرع العلمي، اسم المشرف، تاريخ البحث. ويراعي في ترتيب هذه المعلومات الشكل المتبع في الجامعة او المؤسسة عادة.

-صفحة الاهداء تتضمن تقديراً يرفعه الباحث لكل من ساعده أو سهّل له اجراء البحث بقصد إظهار عرفان الجميل او عاطفة ما. ويراعي فيها مبدأ خير الكلام ما قد ودلّ.

-التمهيد وفيه يهيء الباحث القارىء للدخول في عالم البحث، فيحدد إطاره العام ويعطي فكرة عن المراجع والشخصيات التي ساهمت في إغنائه. كما يمكن ان يشير الى أهميته والغاية من وضعه. والبعض يفضل ان يضيف في التمهيد شرحاً مختصراً عن البحث يتضمن عنوان الفصول مع تلخيص وعرض موجز وواضح لما يتضمنه كل فصل.

-المقدمة وتتضمن وصفاً كاملاً للاشكالية وحدودها وأسباب اختيار الموضوع وأهميته، مع تبيان الاطار الزماني والحقلي للبحث، وشرح محدد للفرضيات النهائية، مع إيضاح المنهجية والتقنيات المتبعة في الدراسة والصعوبات العملانية التي اعترضت الباحث. ويفضل البعض ان يضع العرض الموجز لأقسام وفصول البحث في خاتمة

المقدمة.

ويجب التنبيه الى ان المقدمة لا يفترض ان تتضمن عبـــارات غامضة فهي مقـــدمه منهجية، الهدف منها ان يفهم القارىء إشكالية البحـــث ويســـتوعب أهميته وغرضه، والطريقة المتبعة في تحليل موضوعاته وفق قواعد منطقية ومترابطة.

اما بالنسبة للتعريفات، فقد يجد بعض الباحثين انه من الضروري الشرح التفصيلي لمعاني بعض المصطلحات المستخدمة او المفاهيم المعتمدة من قبـــله، ســـواء كانت هذه المصطلحات او المفاهيم من اجتهاد الباحث نفسه او انه قد استخدمها للمرة الأولى بمعنى جديد او في سياق مختلف.

-**جســـم البحث** (The main body of the paper) يمثل هذا القسم المحور المركزي في البحث والذي يحتوي على تطور المناقشـــة وبـــيان الأدلة لإثبـــات او نفي الفرضيات. وهو يشمل الاطار النظري والميداني وما يحتويه من فصول وأقســـام متتالية ومترابطة تعرض أدلتها وبياناتها ومعطياتها بشكل متكامل يتلائم وخطة البحث.

ليس هناك هيكلية محددة، فلكل بحث هيكلية مناســـــــبة. فقد نجد بحثاً لا يحتوي إلا فصولاً، وبحثاً آخر يحتوي ابواباً مقسمة الى فصول وثالثاً مقسماً الى أبـــواب وفصول. وتتشعب الهيكلية عادة من الأقسام الى الأبـــواب، فالفصول. ويفترض ان يجمع بـــينها تسلسل منطقي وترابط بنيوي. واختيار العناوين ليس مسألة شكلية، بل هي مسألة تدل على براعة الباحث. ومن المهم الاشارة الى ضرورة وجود توازن بين اجزاء البحث، ولا يعني هذا ان الاقسام او الفصول يجب ان تكون متساوية في عدد الصفحـــات، وإنما من الخطأ ان تكون الفصول في قسم ما بحجم يســـاوي أضعاف فصول في قســـم آخر. اما مسألة عدد الصفحات فهي غير محددة، لأن قيمة البحث ليست بعدد صفحاته، بـــل في منهجيته وموضوعيته والأمور الجديدة التي كشفها.

من المفيد ان يمهّد الباحث عند نهاية كل قسم الى القسم الذي يليه ليظهر البحث بترابطه المنطقي امام القارىء، وقد يعمد البعض الى تلخيص أهم افكار الفصل في خاتمة كل فصل، وهي طريقة تساعد على ترسيخ الافكار وتأكيدها. ومن الضروري التأكد من ان الرسوم والجداول الواردة في البحث صحيحة وخالية من الاخطاء، وواضحة، يمكن للقارىء ان يستوعبها، واذا كانت تحمل اي لبس او غموض فمن الضروري تقديم شرح مباشر لها بعد الجدول او الرسم البياني. مع التأكيد على ضرورة ان يحمل كل رسم او جدول عنواناً واضحاً ورقماً متسلسلاً متتابعاً.

وتجب الاشارة الى ان الفصول قد تتطلب في أغلب الاحيان عناوين جزئية Subtitle لتسهيل الاستيعاب وفهم الحجج والادلة وللحفاظ على الترابط بين هذه الاجزاء، الا أن الاكثار من العناوين الجزئية والصغيرة أمر غير مستحب، فهو سينعكس سلباً على ورقة البحث لجهة تماسكها وانسيابية أفكارها.

-**الخاتمة والاستنتاجات** وهي يجب ان تحتوي على عدد قليل من الصفحات، لكن هذا العدد القليل يجب ان يكتب بعناية كبيرة جداً، لأن المقدمة والخاتمة عادة ما تكون من الأوراق الأولى التي يتصفحها القارىء الخبير.

يجب ان تحتوي الخاتمة عرضاً موجزاً لنتائج البحث من خلال استعراض أهم محطاته واشكاليته ونوع التحليل الذي اتبع في مناقشته وعرض الادلة والبيانات. ثم يجب العودة الى الفرضيات ومناقشتها وتبيان النتيجة او الاجابة على هذه الفرضيات التي خرج بها البحث.

كذلك يجب ان تحتوي الخاتمة على عرض الجديد الذي قدمه البحث او الاضافة النوعية التي قدمها الباحث من جراء عمله مع الاشارة الى أهمية ذلك للحقل العلمي الذي ينتمي اليه البحث، وأهميته بالنسبة للابحاث اللاحقة.

ويفضل بعض الباحثين تقديم اقتراحات او توصيات تتعلق بالظاهرة المدروسة، لكن يجب التنبه الى ان التوصيات هي مسألة تتعلق برأي الباحث، فهي لا ينبغي ان تختلط بالدراسة ذاتها، انها شيء اضافي وليست من صميم البحث.

اذن الخاتمة والاستنتاجات ليست تكراراً او تلخيصاً، بقدر ما هي عرض ومناقشة للاشكالية والفرضيات وبيان للادلة دون تفصيل او توثيق، واستنتاجات عامة تعيد ربط الاطار النظري بالحقل الميداني.

-الملاحق وتتألف في العادة من الاستمارة والصور والوثائق والخرائط وكل ما يراه الباحث مفيداً من الناحية التوثيقية للموضوع.

-قائمة بالجداول والرسوم مع أرقامها وعنوان كل منها، والصفحة التي وردت فيها.

-فهرس المصادر والمراجع: يميز بعض الباحثين بين المصدر والمرجع. فالمصدر هو المادة الاساسية بالنسبة لموضوع البحث، اما المرجع فهو ما كتب عن موضوع البحث او اقترب من المصدر بشكل او بآخر.

اما طريقة تبويب فهرس المصادر والمراجع فهناك من يعتمد تقسيمها حسب الانواع (١-كتب ٢ - مخطوطات ٣- رسائل جامعية ٤-موسوعات ٥-معاجم مقالات...) لكن الافاضة في التقسيم تصعّب العودة الى المصادر والمراجع. علماً ان الهدف الاساسي من الفهرس هو التسهيل على القارىء ليعود الى ما يريد منها، والعديد من القراء يعمدون الى تصفح فهرس المصادر والمراجع منذ البداية ليتأكدوا من أصالة الكتاب او البحث وجديته ومدى اعتماده على مصادر حديثة وفي أي لغات.

اما الترتيب الشائع فيعتمد اسماء المؤلفين، حيث نعتمد اسم المؤلف مقلوباً (أي اسم عائلته ثم اسمه الشخصي ثم نضع نقطتين (:) ثم اسم الكتاب كاملاً منتهياً بنقطة، ثم اسم

المحقق او المترجم كاملاً إن وجد ودون ان نقلب الاسم) ثم مكان النشر، ثم فاصلة ثم دار النشر ففاصلة، ثم الطبعة وتاريخ النشر مختوماً بنقطة. وفق النموذج التالي:
اسم العائلة، اسم الشخص: اسم الكتاب، اسم المحقق او المترجم دون قلب. مكان النشر، دار النشر، الطبعة، التاريخ.
اما المقال فيتم تبويبه وفق التالي:

اسم العائلة، اسم المؤلف: عنوان المقال بين مزدوجين "..........."، اسم الجريدة او المجلة، مكان صدورها، رقم العدد، التاريخ.وهناك من يفضل تمييز اسم الكتاب بخط مائل او واضح، واذا لم يذكر على الكتاب دار النشر نكتب (لا. نا.)، واذا لم يذكر تاريخ النشر نكتب (لا. تا).

واذا كان للمؤلف اكثر من كتاب نريد تسجيله في فهرس المصادر والمراجع، فنصنفها الفبائياً، أو زمانياً حسب تاريخ صدورها، ولا يذكر المؤلف الا مرة واحدة.

-محتويات البحث وهي تكتب عند الانتهاء من الصياغة النهائية، لأنها تحتوي عناوين الفصول وفروعها والملاحق والمراجع ورقم الصفحة التي ورد فيها كل عنوان من هذه العناوين. ويعاد التأكد وتصحيح الصفحات بعد الطبع بصيغتها النهائية. وهناك من الباحثين من يفضل وضع محتويات البحث في المقدمة بعد صفحة الاهداء، ولكن آخرين يفضلون ان تكون في اخر صفحات البحث او الكتاب وهذه مسألة استنسابية.

يهمل بعض الباحثين التدقيق النهائي بعد الطبع، لغوياً ومطبعياً، علماً ان اسوأ مدقق او مصحح هو المؤلف نفسه، ذلك انه نتيجة تكرار قراءته للنصوص لا يستطيع الملاحظة الدقيقة. في كل الاحوال ليس هناك ما يمنع ان تحول الرسالة او البحث الى مدقق ومصحح لغوي ليتم التأكد من خلو العمل من الاخطاء التي قد تشوه الجهد المبذول في البحث العلمي. كما ان الشكل والاخراج الفني لا يجب إهماله على الاطلاق.

اما القراءة النقدية التي يجب ان يتوقعها الباحث، فيجب ان ترد في ذهنه بصفة مستمرة. فالباحث يجب ان يعلم ان قارئه هو شخص خبير في معظم الاحيان في مجال الدراسة، ولذلك سيعمد الى التشكيك بنتائج الدراسة ومنهجيتها ما لم يثبت الباحث بالدليل وبالتوثيق أصالة بحثه ودقة مصادره الواردة في الهوامش والحاشية.

القراءة النقدية التي يجب ان يتوقعها الباحث، قد تتعلق بالعنوان، ومقدار تعبيره بدقة وباختصار عن محتوى البحث؟ ثم قد تطرح القراءة النقدية اسئلة مثل: هل اشكالية البحث محددة بدقة؟ هل الفرضيات واضحة؟ هل تم اختبارها كلها؟ هل استخدمت الطرق الصحيحة والتقنيات اللازمة لاختبارها وكيف تم جمع المعطيات؟ وهل كان هناك أدوات أفضل لجمع البيانات والمعلومات عن الظاهرة؟ هل المشكلة التي يتعرض لها البحث جديدة؟ هل هناك دراسات سابقة حولها؟ ما الجديد الذي قدمه الباحث في هذا المجال؟ هل تم تحليل المعطيات بدقة وذكاء؟ ام اكتفى الباحث بالعرض والتصنيف والتبويب؟

هذه بعض الاسئلة التي سيثيرها القارىء الناقد او المناقش للبحث وبالتالي على الباحث ان يسأل نفسه هذه الأسئلة وأن يجيب عليها في سياق بحثه. واذا عجز عن الاجابة المنطقية والقوية عن بعض هذه الاسئلة، فيعني هذا ان هناك خللاً ما ينبغي مراجعته.

-الحاشية والهامش:

ويقصد بهما ما يخرج عن النص، او متن البحث، شرحاً او إشارة. وقديماً لم تعرف الكتابة العربية نظام الهوامش، وإنما كانوا يعرفون نظام الحواشي. والحاشية هي ما يكتب في البياض الذي يحيط النص، ويكون في أعلى الصفحة وأسفلها، وفي يسارها او يمينها.

اما الهامش فكان يعني البياض الذي على يمين الصفحة غالباً او على يسارها احـــياناً. اما حين يقال الذيل فالمقصود به البياض الذي في أسفل الصفحة، والبعض لا يميز بينه وبين الهامش. في كل الاحوال تشمل الحاشية كل ما يكتب خارج النص سواء كتب في ذيل النص، أم في نهاية الفصل، او في آخر البحث، ومن خلاله تعرف مدى أصالة البحـــث ودقة توثيقه.

تتضمن الحاشية أسماء المصادر والمراجع التي تم الاقتبـــاس منها او الإحـــالة اليها، بالاضافة الى الإحالات على صفحات الرسالة نفسها منعاً للتكرار، تتضمن ايضاً بعض الشواهد والادلة التي تأتي في الدرجة الثانية بالاضافة الى بعض الشروحات التي تقـــترب من الاستطراد، او الشروحات التي توضح خلفيات البحث وتساعد على فهم بـــعض مفاصله الاساسية، وتشمل ايضاً شرحاً لبـــعض المصطلحـــات والتعريف بـــالاعلام والاحداث التاريخية. ان الغاية من الحاشية تكمن في تجنب إدخال تفاصيل في المتن تؤدي للاستطراد في الشرح او استعراض الادلة التفصيلية، بحيث يمكن الاشارة اليها في الحاشية ليراجعها القارىء اذا شاء. لكن بـــعض الباحـــثين يغرقـــون في التهميش او التعليق، فيحشدون عشـــرات المصادر والمراجع للدلالة عل ســـعة اطلاعهم ومدى عنائهم في البحث والتقصي، مما يؤدي الى إجهاد نظر القارىء بسبب كثرة انتقال نظره من المتن الى الحاشية وبالعكس. وليست غاية البحث الدلالة على سعة اطلاع الباحـــث، وانما هو استنباطه، من مجموع ما يقرأه، قضايا جديدة وافكاراً مستجدة. ويقع البـــعض في خطأ الاقتباس لنصوص قديمة وردت في مراجع حديثة، دون التحقق من صحة ما يقتبسون، فيتم النقل دون تحقق او مراجعه، وقد يصاحب هذا نقـــل لأخطاء وقـــعت في المرجع، فتكون النتيجة تكرار الاخطاء. على الباحث في مثل هذه الحالة، إن لم يستطع التحقـــق من النص بـــالعودة الى المصدر الاصلي، ان يذكر في الهامش انه استقـــى معلوماته عن

المرجع الذي وردت فيه. (١)

تكتب الحواشي عادة في ذيل الصفحة، ومنهم من يجعلها في نهاية الفصل او في نهاية البحث، ويجب الفصل بينها وبين المتن بخط واضح في حال كتبت في ذيل الصفحة، وتكتب نصوصها غالباً بحرف أصغر من حرف المتن.

وعند ذكر المصادر والمراجع في الحواشي، نذكر اسم المؤلف دون قلب، ثم عنوان الكتاب اوا لمقال، ثم اسم المحقق او المترجم، ومكان النشر، ودار النشر، ورقم الطبعة وزمان النشر والصفحة التي تم الاقتباس عنها. ثم ترقم الإحالات ترقيماً متسلسلاً ضمن الفصل الواحد او ضمن الصفحة الواحدة، حسب النظام المستعمل من قبل الباحث. فهناك من يجعل ارقام كل صفحة مستقلة عن ارقام الصفحة السابقة، وهناك من يجعل الارقام متسلسلة ضمن الفصل الواحد، على ان تثبت في كل صفحة حواشيها، وهناك من يرقم الإحالات ترقيماً متسلسلاً ضمن الفصل الواحد، لكنه يجعل الحواشي في نهاية الفصل او في آخر البحث. ولكل طريقة ترقيم محاسنها، لكننا نفضل الترقيم المستقل لكل صفحة حيث يوضع في ذيلها الاحالات والحواشي اللازمة. واذا تم تكرار المصدر او المرجع في الصفحة نفسها، فإننا نستخدم المصطلح (م.ن) اي المرجع او المصدر نفسه، اما اذا تكرر في سياق البحث فإنا نكتفي بذكر اسم المؤلف مع مصطلح (م.س) أي مرجع سابق، مع ذكر وتحديد الصفحة طبعاً.

واذا كان نص الحاشية طويلاً بحيث أن ذيل الصفحة لم يتسع له، نضع علامة المساواة (=) في آخر السطر الأخير من الذيل، ونكرره في اول السطر الاول من ذيل الصفحة التالية، ثم نكمّل النص. اما في المراجع الاجنبية فنستخدم المصطلح (Ibid) للاشارة الى المرجع نفسه وهذا المصطلح اختصار للكلمة اللاتينية Ibidem ومعناها (في

---

١ - اميل يعقوب: المرجع السابق، ص ٦٦ و ٦٧.



نفس المكان) اما اذا تكرر المرجع في سياق البحث او الفصل فنستخدم المصطلح المختصر (op. cit) وهي اختصار لـ(Opere citato) ومعناه في العمل المذكور. والتي يسبقها طبعاً اسم المؤلف مع ذكر رقم الصفحة. اما المصطلح passim فيعني (في كل مكان) ويستخدم عادة للاشارة في حالة الاقتباس العام من فصل كامل دون تحديد لصفحات محددة(١).

اما عند الاحالة الى فصول ومقالات منشورة في كتب او دوريات، فيندرج اسم المؤلف، ثم عنوان الفصل او المقال بين علامتي تنصيص " " بعدها نقطة، ثم يدرج اسم الكتاب او المجلة مسبوقاً بكلمة "في" او "In" بالانكليزية بالاضافة طبعاً الى العناصر الضرورية في التهميش والسابق ذكرها.

وجرت العادة ان يعمد المؤلفون الى اختصار كلمات يكثر تكرارها، وخاصة في الهوامش، وقد أصبحت هذه المختصرات والرموز شائعة، وفيما يلي قائمة ببعض هذه الرموز:

المصطلح	معناه	ما يقابله بالإنكليزية	معناه
الخ	الى آخره	Etc.	Etcetera
ب.ظ	بعد الظهر	P.m	After noon
ت	تاريخ	d.	Date
تحق	تحقيق	Rev.	Revision
تر	ترجمة	Tr.	Translation
ج	الجزء	V.	Volume
د.	الدكتور	Dr.	Doctor
د.ت	دون تاريخ	N.d	No date
س	السطر	I.	Line

١- أحمد بدر: أصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، وكالة المطبوعات، الطبعة السادسة، ١٩٨٢، ص ٢٠٤.

Page	P.	الصفحة	ص
Title-page	T.p.	صفحة العنوان	ص.ع
Loco citato (in the place)	Loc.cit	الصفحة نفسها	ص.ن
Edition	Ed.	الطبعة	ط
Column	Col.	عمود	عم
Paragraph	Pr.	فقرة	فق
Ante meridien	A.m	قبل الظهر	ق.ظ
Before christ	b.c	قبل الميلاد	ق.م
No date	n.d	لا تاريخ	لا.ت
No publisher	n.p.	لا ناشر	لا.ن
Christian calender	A.D	التاريخ الميلادي	م.
volume	Vol	مجلد	مج
Operecitato	Op.cit	المرجع أو المصدر السابق	م.س
Ibidem	lbid	المرجع أو المصدر نفسه	م.ن
Press	pr.	مطبعة	مط.
Publishers	Pub.	الناشر	ن.
Islamic calindar	H.	التاريخ الهجري	هـ

-النشر كهدف للبحث العلمي:ان الكثير من المعلومات الجديدة والهامة تقبع على رفوف مكتبات الجامعات في شكل رسائل وبحوث علمية واكاديمية غير منشورة. النشر اذن وسيلة أساسية للباحثين، قد لا يرغب البعض في نشـــر انتاجه العلمي، الا ن عملية النشر تبقى هامة وضرورية لتعميم الفائدة والمعرفة. وأحد الاسئلة التي يواجهها الباحث المبتدىء دائماً تدور حول قيمة الأجر الذي سيحصل عليه مقابل نشر بحثه او مقالتـــه. والجواب في الغالب لا شيء. هذا الجواب لن يشجعه على المزيد من الانتاج لأنه يعرف

آخرين يتقاضون اجوراً عالية نظير المقـــالات والقصص التي يكتبونها. لكن هــــؤلاء يقومون بعملهم في مجال النشر التجاري، بغرض الكسب المالي. اما الباحث فينشـــر ما ينشره كإسهام في المعرفة والبحـــث والعلمي، خاصة ان ما ينشـــره في الغالب يتم في الدوريات المتخصصة، والتي هي بطبيعتها محدودة التوزيع.

ويجب التمييز بين المقالة essay والبحث Research فالبحث يتضمن اشـــكالية وفرضيات ومنهجية وتقنيات، ووصفاً متكاملاً للمشكلة، والتي يجب الوصول بنتيجتها الى خلاصات. اما المقال فهو مناقشة لموضوع معين او مشكلة محددة. وعادة تشـــمل المقالة آراء الكاتب وتفسيره او وجهة نظره. والمقالة العلمية لا تضيف بالضرورة شـــيئاً جديداً للمعرفة الكلية، لكنها ببساطة يمكن ان تلخص المعرفة الموجودة فعلاً. اما البحث فهو دائماً يعتبر إضافة للمعرفة العلمية.

كاتب المقــــال لا يتقيد بنفس القواعد الصارمة التي تحكم العمل البحثي، فتوثيق البيانات التي يعززها في مقالته لا يخضع لمعايير صارمة، وهذا لا يعني ان كتابة المقال عملاً ليس علمياً. بل هو في صميم الاعمال العلمية للباحثين، لكن المقال له حيثياته وأهدافه، وهو لا يمكن ان يقدم حلاً لمشكلة او قضية بقدر ما يقـــوم بإســـتعراض مختلف الحلول وتقديم وجهة نظر شخصية حول أفضلها. المقال يكتب بـــغرض الإعلام، لذلك يفضل ان يكون مكتوباً بلغة مشوقة، اما البحث فخطوة مباشرة نـــحو تقديم الحقائق بشكل تغلب عليه الموضوعية.

واذا أراد الباحث الـــذي انهى بحثاً علمياً لمشكلة معينة ان يعمم نتائجه ولا يفضل ذلك في مقالة، فعليه أن يكتب وصفاً حقيقياً لمصادر معلوماته، ويشـــير الى المنهج الذي استخدمه والفروض والنتائج التي توصل اليها.

يبقى ان نشير الى ان عدم التأني والصبر في إعداد البحث وكتابته بغرض الاسراع في

النشر، كثيراً ما يؤدي الى ان يخرج العمل ضعيف التنظيم مفككاً ومهلهلاً في الاسلوب والاداء. ومن العسير حتى على الكاتب المجرّب ان يعبر عما يريد ان يقوله بطريقة مرضية من المرة الأولى التي يكتب فيها، لذلك عليه ان يعيد ويراجع ويتأنى في اختيار الكلمات والمصطلحات وفي الصيغة النهائية حتى يخرج بحثه وهو أقرب إلى الاصالة العلمية.

-علامات الوقف: وهي رموز اصطلاحية يستخدمها الكاتب بين الجمل او الكلمات، لتسهيل عملية الابلاغ والافهام والقراءة. اما عناصرها فهي التالية:

١-الفاصلة (،) وهي تدل على وقف قصير، ويخضع استخدامها للذوق، وتستخدم في الغالب في المواقع الآتية:

أ-بين المعطوفات (صحة الجسد، وصحة العقل، وصحة الروح، و...)

ب-بين الجمل القصيرة التامة المعنى (نم مبكراً، وقم مبكراً)

ج-بين جملتين مرتبطتين بالمعنى والاعراب (خير الكلام ما قلَّ ودلَّ، لم يطلُ فيمّل).

د-بين الشرط والجزاء(إن خفتم عيلة، فسوف يغنيكم الله من فضله).

هـ-بين اجزاء متشابهة في الجملة. (الفلاح في حقله، والعامل في مصنعه،و...)

و - بين القسم وجوابه (والله، لأجتهدنّ).

ز-بعد المنادى (يا طالب العلم، إجتهد).

ح-بين موصوف وجملة وصفية (رأيت رجلاً، عيناه تقدحان شرراً).

ط-قبل الجمل الحالية: (دخل صفّه، وهو ينشد).

٢-النقطة (.) وهي تدل على وقف تام، وتوضع في نهاية كل جملة لا تحمل معنى التعجب والاستفهام، عند انتهاء الكلام وانقضائه: (من نمّ لك نمّ عليك.) (الصداقة عطاء متبادل.).

٣-القاطعة (؛) تدل على وقف متوسط، وتوضع بين جملتين احداهما سبب

للاخرى: (إياك والحسد؛ فإنه يفسد الدين) (أنت محاور جيد؛ إذ أنك تتقبل رأي الآخر)

وقد توضع بين جملتين مرتبطتين في المعنى دون الاعراب، او بين الجمل الطويلة التي يتألف من مجموعها كلام تام الفائدة، فتوضح لتجنب الخلط بينها.

٤-النقطتان (:) تدلان على وقف متوسط، وتوضعان:

أ - بين القائل والمقول: (قال المعلم: من جدَّ وجد)

ب - قبل المقتبس او المنقول (على ما جاء عند ابن خلدون:.....)

ج - بين الشيء وأقسامه (الكلمة ثلاثة اقسام: اسم، وفعل، وحرف).

د - قبل التفسير (كتبت اليه: أن احضر).

هـ - قبل الامثلة التي توضح قاعدة، بعد كلمة مثل، او نحو...

٥-علامة الحذف (...) تستخدم للدلالة على كلام محذوف.

٦-علامة الاستفهام (؟) تستخدم في نهاية كل جملة استفهامية.

٧-علامة التعجب والانفعال (!) وتستخدم في نهاية الجمل التي تعبر عن التعجب، او التحذير، وعن الاغراء او الأسف، او الفرح، او الاستغاثة، وعند الدعاء. وقد تجتمع علامتا التعجب والاستفهام في حالات الاستفهام الانكاري.

٨-الشرطة، او الخط (-) وتوضع في اول الجملة المعترضة، وآخرها، كذلك تستخدم لفصل كلام المتحاورين، وأيضاً بين العدد والمعدود اذا وقعا عنواناً، في اول السطر.

٩-القوسان ( ) ويستخدمان لحصر الكلمات المفسرة، او للاحتراس او للفت النظر.

١٠-الشـــــولتان المزدوجتان، او المزدوجان، او علامة التنصيص ("....").
وتستخدم لنقل جملة او اكثر، وتعيين حدود المنقول.

١١-القوســـان المعقوفان، او المركّنان ([ ]) لحصر كلام الكاتب، عندما ينقل كلام غيره، في نصه.

١٢-القوسان المزهّران ({ }) لحصر الآيات القرآنية.

١٣-علامة التابعية (=) تستخدم في آخر ذيل الصفحة، عند اكتمال الحاشية، لاســتكمالها في الصفحة الآتية. (١).

١- نبيل أيوب: التعبير منهجيته وتقنياته، بيروت، دار المكتبة الأهلية، ط١، ٢٠٠٠، ص ٢٩٦ - ٢٩٩

خطوات البحث السوسيولوجي

تحديد الموضوع
الهدف واشكالية البحث

الإطلاع على الدراسات المتعلقة
بالموضوع كالوثائق والتقارير والإحصائيات

وضع التصميم الأولي للبحث وصياغة الاشكالية بشكل دقيق

صياغة الفرضيات العامة	تحديد وضبط المفاهيم
التقميش	التوثيق
الاستعداد المنظم للبحث.	برنامج البحث
-تحديد الحقل الميداني. -تحديد المدة الزمنية. -تنظيم العناصر التي ستنفذ البحث -دراسة الامكانيات المادية والمستلزمات. -اجراء الاتصالات اللازمة لتسهيل حركة المنفذين.	-تحديد أساليب التنفيذ. -تحديد المؤشرات. -وضع الاستمارة. -تحديد العينة. -تحديد برنامج العمل اليومي. -تحديد التقنيات الأخرى التي ستعتمد في جمع المعلومات

البحث الأولي الاستطلاعي (تجريب الإستمارة)

اعادة التقويم والصياغة النهائية للاستمارة

النزول الى الميدان. تعبئة الاستمارات

-التدقيق الميداني -التدقيق المكتبي

تنظيم المعطيات	تحليل المعطيات
-الترميز -التبويب -الجدولة	-التحليل الكمي الإحصائي -التحليل النوعي والكيفي

الصياغة الأولية
-تحديد العناصر الرئيسية لكل فصل. -تحديد العناصر الفرعية لكل عنصر رئيسي. -وضع المسودة الأولية لكل فصل.

الصياغة النهائية
-وضع العناوين المعبرة بشكل نهائي. -صياغة المقدمة المنهجية والتعريف بالإشكالية والفرضيات وهدف البحث. -ربط الاشكالية بالإطار النظري. -عرض العناوين الرئيسية وبيان الأدلة والمعلومات الداعمة. -عرض النتائج والاستنتاجات الأساسية للبحث وتبيان الاختبار النهائي للفرضيات -الملاحق -المراجع -الفهرس والترقيم النهائي -دفع البحث الى الطبع -التصحيح المكرر+تحديد النسخ+التغليف

مراجع الكتاب

-ابراهيم، عبد الله: علم الاجتماع، السوسيولوجيا، المغرب المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط١ ٢٠٠١.

-ايوب، نبيل: التعبير منهجيته وتقنياته، بيروت، دار المكتبة الأهلية، ط، ٢٠٠٠.

-بدوي، عبد الرحمن: مناهج البحث العلمي، القاهرة دار النهضة العربية، ، ١٩٦٨.

-بدوي، أحمد زكي: معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، مكتبة لبنان، ١٩٧٧.

-بو ضرغم،صابر: خطوات البحث الاجتماعي، بيروت دار الآفاق الجديدة، ٢٠٠٠.

-بيفردج. و. أ. ب: فن البحث العلمي، ترجمة زكريا فهمي، القاهرة، دار النهضة، ١٩٦٣.

-بدر، أحمد : أصول البحث العلمي ومناهجه، الكويت، وكالة المطبوعات، ط ٦، ١٩٨٢.

-التير، مصطفى عمر: مساهمات في أسس البحث الاجتماعي، بيروت معهد الانماء العربي، ط٢، ١٩٩٨.

-الحسن، محمد احسان: الاسسس العلمية لمناهج البحث الاجتماعي، بيروت دار الطليعة، ط٣، ١٩٩٤.

-الخولي، يمنى طريف: فلسفة العلم في القرن العشرين، سلسة عالم المعرفة، الكويت، العدد (٢٦٤).

-شلبي، احمد : كيف تكتب بحثاً او رسالة، القاهرة، مكتبة النهضة المصرية، ط ١٠، ١٩٧٨.

-عبد الرحمن، عبدالله محمد: علم الاجتماع، النشأة والتطور، الاسكندرية دار المعرفة الجامعية، ط ١٩٩٩.

-عقيل، حسين عقيل: فلسفة مناهج البحث العلمي، القاهرة مكتبة مدبولي، ١٩٩٨.
-عيســــــى، محمد طلعت: البحث الاجتماعي، مبادئه ومناهجه. القاهرة، مكتبة القاهرة الحديثة، ط٣، ١٩٦٣.
-غيفليون، رودلف وبنيامين ماتالون: البحث الاجتماعي المعاصر، مناهج وتطبيقات، ترجمة علي سالم، بيروت مركز الانماء القومي، ط ١، ١٩٨٦.
-غيث، محمد عاطف: قاموس علم الاجتمـــاع، الهيئة المصرية للكتاب،ط ١٩٧٩
-فاشه، ماري جميل: دليل المدرس في انشاء مكتبة، بيروت، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط١، ١٩٨٣.
-كابلو، تيودور: البحث السوسيولوجي، بيروت دار المروج، ط ١٩٨٥.
-كيفي، ريمون ولوك فان كمبنهود: دليل الباحث في العلوم الاجتماعية، صيدا، المكتبة العصرية، ط١، ١٩٩٧.
-محمد، علي محمد: علم الاجتماع والمنهج العلمي، الاسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ط ١٩٨٦.
-مصطفى القاضي، يوسف: مناهج البحوث وكتابتها، الرياض، دار المريخ، ١٩٨٠.
-محمد، علي محمد: مقدمة في البحث الاجتماعـــــــي، بيروت، دار النهضة العربية، ط١، ١٩٨٢.
-محمد، ماهر عبد القادر: فلسفة العلوم، دار النهضة العربية، ج٢، ١٩٨٤. -معتوق،
-معتوق، فريدريك: - معجم العلوم الاجتماعية، بيروت اكاديميا، ط ١٩٩٩.
-منهجية العلـــوم الاجتماعيـــة عنـــد العـــرب وفي الغـــرب، بيروت،المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، ط ١٩٨٥
-محمد حســـن، عبد الباسط: اصول البحث الاجتماعي، القاهرة، مكتبة الانجلو

المصرية، ط ٣، ١٩٧١.
-يعقوب، اميل: كيف تكتب بحثاً او منهجية البحث، طرابلس لبنان جروس برس، لا.ت.
-والتر بنجهام وآخرون: سيكولوجية المقابلة، دار النهضة العربية، ١٩٦١.

- Cozby, Paul C., Methods in behavioral research, palo Alto, calif: Mayfield, pub. co, 1977.

- Harold D. Lasswel et Nathan Leites: The language of politics, studies in Quantitative semantics, New York, stewart, 1949.

- Moser, C.A: Survey methods in social investigation, Heineman, London, 1967.

- Mitchell, D.A : Dictionary of sociology, Routledge and Kegam paul, London, 1973.
- Swedner, H: Questionnaire construction, I Unesco seminar on. Social Research Methods, Denmark, June, 1968.

المحتويات

مقدمة

الفصل الأول: المعرفة العلمية والبحث السوسيولوجي ٩

-انواع المعرفة وخصائصها ٩

-البحث السوسيولوجي ١٥

-نشأة البحث السوسيولوجي وتطوره ١٧

-الموضوعية في البحث السوسيولوجي ٢٥

-انواع البحث السوسيولوجي ٢٨

الفصل الثاني: البناء النظري للبحث السوسيولوجي ٣٥

-اختيار الموضوع وشروطه ٣٥

-تحديد الموضوع ٣٧

-الاشكالية ٣٩

-الفرضيات ٤٣

-التوثيق والتقميش ٤٩

-اختيار المراجع ٥٥

الفصل الثالث: أطر جمع المعطيات وتقنياتها ٦٣

-التحضير العملاني ٦٤

-المسح الاجتماعي ٦٦

-العينة وكيفية اختيارها ٧٠

-العينة وأنواعها ٧٣

١-العينة العمدية ٧٣

٢-العينة العشوائية ٧٤

٣-العينة الطبقية ٧٥

٤-العينة الحصصية او النسبية ٧٦

٥-العينة المكانية........ ٧٧
٦-العينة العنقودية........ ٧٨
٧-العينة المتدرجة........ ٧٨
٨-العينة التراكمية........ ٧٨
٩-العينة المراحلية........ ٧٩
-الاستمارة والاستبيان :-انواع الاستبيان........ ٨٠
-تصميم الاستمارة........ ٨٢
-صياغة الأسئلة وشروحها........ ٨٧
-الملاحظة والمشاهدة:........ ٨٧
-خطوات الملاحظة........ ٩٠
-أنواع الملاحظة........ ٩١
-ميزاتها وعيوبها........ ٩٤
-المقابلة:........ ٩٥
-أنواع المقابلة........ ٩٦
-ميزاتها وعيوبها........ ٩٨

الفصل الرابع : تبويب المعطيات وفرزها وتحليلها........ ١٠١
-التحليل الاحصائي للنتائج........ ١٠٦
-تحليل الوثائق........ ١٠٧
-تقنية تحليل المحتوى........ ١٠٩
-التفسير السوسيولوجي لنتائج البحث........ ١١٥

الفصل الخامس: الصياغة النهائية للبحث........ ١٢٥
-في كتابة المسودة........ ١٢٥
-في كتابة المبيضة (الصياغة النهائية)........ ١٢٦
-المقدمة........ ١٢٦
-جسم البحث........ ١٢٧
-الخاتمة والاستنتاجات........ ١٢٨

-فهرس المصادر والمراجع ١٢٩
-الحاشية والهامش ١٣١
-المختصرات والرموز ١٣٤

-المراجع ١٤٢
-فهرس المحتويات ١٤٥

المؤلف

عبد الغني عماد، مواليد طرابلس ١٩٥٢، يحمل دكتوراه دولة في علم اجتماع المعرفة، باحث في سوسيولوجيا المعرفة والسياسة والدين، يدرّس في معهد العلوم الاجتماعية - الجامعة اللبنانية. صدرت له مؤلفات عديدة. فضلا عن الأبحاث والمقالات التي نشرت في المجلات والدوريات اللبنانية والعربية ومنها:

١-السلطة في بلاد الشام، دار النفائس. بيروت. ط ١٩٩٣.

٢-الجهاز الديني في مدينة طرابلس، معهد العلوم الاجتماعية، الفرع الثالث ١٩٨٦.

٣-الوحدة العربية، الوعي الملتبس والمشروع المؤجل، المركز الوطني للدراسات والنشر، بيروت، ١٩٩

٤-البيئة والانسان، دراسة في جغرافية الانسان، المعاش والسياسة، (مشترك مع عاطف عطية) جروس برس، لبنان، ط ١. ١٩٩٨.

٥-حاكمية الله وسلطان الفقيه، قراءة في خطاب الحركات الاسلامية المعاصرة، دار الطليعة، بيروت، ط ١٩٩٧.

٦-الانتخابات البلدية في طرابلس، المرشح والناخب بين العائلة والطائفة والحي، جروس برس، لبنان، ط ٢٠٠٠.

٧-ثقافة العنف في سوسيولوجيا السياسة الصهيونية. دار الطليعة. بيروت. ط ٢٠٠١.

٨-مجتمع طرابلس في زمن التحولات العثمانية، دار الانشاء، طرابلس ط ١، ٢٠٠٢.

الدكتور عبد الغني أديب عماد، مواليد طرابلس ١٩٥٢. أستاذ في الجامعة اللبنانية، معهد العلوم الاجتماعية. يحمل دكتوراه دولة في علم اجتماع المعرفة. صدر له العديد من المؤلفات والأبحاث في مجال السوسيولوجيا والثقافة والسياسة.

- **هذا الكتاب** يحيط بالأسس العلمية للبحث السوسيولوجي، وخاصة مراحل وخطوات هذا البحث بدءاً من تحديد الاشكالية ووضع الفرضيات، ثم تصميم العينة الإحصائية والإستمارة الاستبيانية والمقابلات الميدانية، وصولاً الى تبويب البيانات الإحصائية وتحليلها احصائياً وسوسيولوجياً، ثم صياغة البحث أو الاطروحة بشكلها النهائي بما يتضمن المقترحات والتوصيات النهائية.

- **هذا الكتاب** يطرح المراحل والخطوات التي يجب أن يمر بها البحث السوسيولوجي الحديث، وهو يتوقف عند المحطات المنهجية موضحاً الترابط الموضوعي والمتوازن بين كل مرحلة من هذه المراحل.

Design : Color Vision - 06/438 494 - Printing : Al-Maarad 06/446 984